

أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس

دراسة عن اليهود المارنواس



Re/24/2008
UCBR(5)

أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس

(دراسة عن اليهود المارنواس)

دكتورة هدى درويش

معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

٢٠٠٨م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

بطاقة فهرسة

درويش ، هدى

أسرار اليهود المنتصرين فى الأندلس :
دراسات عن اليهود المارنواس / هدى درويش
- ط ١ - الجيزة : عين للدراسات والبحوث
الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨ .

١٢٨ ص ؛ ٢٤ سم

تدمك ٩٧٧ ٣٢٢ ٢٣٤٩

١- اليهود - تاريخ

أ- العنوان

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

المشرف العام :

د . قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذى :

شريف قاسم

مدير الانتاج :

جمال عابد

تصميم الغلاف: د. منى العيسرى

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ه شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٢٨٧١٦٩٢

Publisher: EINE FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

web site: WWW.Dar -Ein.com / E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾

صدق الله العظيم

DS
735
S 7
D 37
2008
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المارانوس لفظ أطلق على طوائف من اليهود ظهرت في إسبانيا والبرتغال، حيث أجبروا على دخول المسيحية وقت الحكم المسيحي الكاثوليكي؛ فاعتنقوها بهدف البقاء في البلاد والحفاظ على ممتلكاتهم، بعد سقوط الحكم الإسلامي. حيث مثلوا طبيعتين متناقضتين، وشخصيتين متباينتين فكرياً وعقائدياً وحياتياً، مسيحية تسعى للاندماج متعذرة عن أصولها اليهودية في الظاهر، وأخرى يهودية مستخدمة كافة وسائل التخفي لإقامة الشعائر اليهودية في الباطن.

عاشت طوائف المارانوس أشبه ما تكون جماعات تجسسية واستخباراتية غير تقليدية للبلاد، وشكلت من استثماراتها التجارية جماعات ضغط على تلك البلدان. ولا ريب في أن مكنم الخطورة في ظهور هذه الطائفة اليهودية المنتصرة لا يقتصر فقط على عدم الانتماء الوطني، والاندماج في السلام الاجتماعي في البلدان التي يتعايشون فيها، وإنما حاجة هذه الجماعات بصفة دائمة وملحة إلى الانتماء إلى شبكة ممتدة حول العالم من اليهود الذين يرتبطون بدولة المركز وعقيدتها.

فقد كانت هذه الطوائف على اتصال دائم باليهود في جميع أنحاء العالم، فقلما نجد يهودياً في الشرق لا يعرف أحوال أخيه اليهودي في الغرب، كما نجد هؤلاء المنتصرين الذين عاشوا يهوداً في وجدانهم، مظهرين عبادات وشعائر أخرى مختلفة - أقرائنا ظهوراً في التاريخ في كل مكان في العالم، ومثال على هذا يهود الدونغمة (الشبتانيون) الذين عاشوا في تركيا - بعد طردهم من إسبانيا - واتخذوا من الإسلام ستاراً يخفون به هويتهم اليهودية الحقيقية، فكانوا مسلمين في الظاهر، يصومون ويصلون ويحجون، بينما مارسوا يهوديتهم في الباطن يذهبون للمعابد، ويقىمون شعائرتهم وطقوسهم اليهودية بشكل سري.

وعلى الرغم من بعد المسافات بينهما - حيث عاش المارانوس اليهود في أوروبا، وطوائف الدونغمة في آسيا - واختلاف الديانة التي دخلها كل منهما إلا أنه كان يربط بينهما - وأيضاً مع غيرهما من الطوائف اليهودية في مختلف البلدان - اتصالات وعلاقات، جمعتهم وحدة الأهداف والأغراض التي يسعون إليها.

وقد جاء اختيار هذه الدراسة بهدف التعرف على أساليب تلك الفئات من اليهود المنتصرين ، وقدرتها على التكيف في مجتمعات مغيرة ، والتعايش معها حتى لو اضطرت في سبيل ذلك إلى تغيير عقيدتها في الظاهر درءاً لمخاطر التهجير والإبعاد والإقصاء من إسبانيا والبرتغال زمن الحكم المسيحي الكاثوليكي .

وتعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث العلمية التي ما فتئت تلح في طلب المعرفة لكل المسكوت عنه في التاريخ ، وسبر أغوار القضايا والإشكاليات التي تستدعي النزاعات الطوائفية ، وبحث السبل عن حلول لهذه المعضلات .

وهتم الدراسة بالكشف عن الأساليب والطرق التي تعتمد عليها هذه الجماعات لضمان وسائل التخفي والاندماج والتعايش مع الديانات والمذاهب المغيرة ووسائلهم الفكرية في التغلغل إلى المجتمعات لتحقيق أغراضهم . بما يجعلها تبدو في الظاهر وكأنها طبيعية ولا تشكل قلقاً أو توتراً يفسد عليها مخططاتها .

وتحدد الاتجاهات المنهجية لهذه الدراسة فيأتي المنهج التاريخي على رأسها الذي يستخدم مجموعة من الأدوات الدقيقة والإجراءات التي تهدف إلى الوصول إلى الحقائق النسبية وليست المطلقة انطلاقاً من الأحداث والشخصيات التي تحدد الحقيقة والمعلومة تحديداً نسبياً ، كما تتبع الدراسة المنهج التحليلي لإعادة النظر في الأحداث المعلنة للتثبت من الأسباب والنتائج الواردة في ثنايا التاريخ ، وذلك من أجل توظيف الماضي لتحديد رؤى المستقبل . وبالإضافة إلى المنهجين السابقين تتبع الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يغلب عليه التحليل والتركيب المرتبط بالتطور الاجتماعي والسياسي لجماعة المارانوس اليهودية في المجتمعات غير اليهودية .

وتدخل هذه الدراسة ضمن الدراسات المقارنة التي تعتمد على توصيف وتحليل الجوانب التاريخية والقانونية لليهود المارانوس وتوضيح علاقة هؤلاء اليهود بالمسيحية ، ومدى قبول كل منهما للآخر .

ولأجل فهم حقيقة هؤلاء المنتصرين نطرح عدة أسئلة وهي :

- ما هي الأسباب التي دعت إلى ظهور تلك الطائفة التي جمعت الطيعتين اليهودية والمسيحية ؟

- كيف استطاع المنتصرون إقناع الخيطين بهم أنهم خرجوا عن دائرة عقيدتهم الأصلية ؟
- ما هي الوسائل التي اتبعوها من أجل الاندماج في المجتمعات المسيحية؟
- ما هي الوسائل السرية التي اتخذوها لإخفاء ممارستهم لطقوسهم اليهودية؟
- هل استطاعوا المحافظة على عقيدتهم اليهودية ؟
- ما هو موقف الأوساط المسيحية تجاههم ؟
- ما هو موقف الحاخامية اليهودية منهم ؟
- ما هو مدى علاقتهم باليهود الآخرين خارج مجتمعاتهم ،على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ؟
- ما هو موقف النخب اليهودية المنتصرة تجاه أهل ملتهم اليهود سواء أكانت معادية أو مدافعة عنهم؟

- ما مدى قبول اليهودية هؤلاء المنتصرين ؟
- ما هو موقف الشريعة اليهودية تجاه صلاحية زواجهم سواء كان من الأجانب أو اليهود؟

- ما هو موقفهم الحالي من اليهودية وموقف اليهودية منهم ؟

وتعترى هذه الدراسة بعض الصعوبات نظراً لندرة المصادر والمراجع التي تتناول العقائد السرية الخاصة بالمارانوس اليهود وتنوعها، وطرق عباداتهم ، الظاهرة منها والخفية .

وقد تم الرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع العبرية الأصلية لتوضيح فكر هذه الجماعات المنتصرة ذات الأصل اليهودي حيث تفردت الدراسة لأن تكون الأولى من نوعها والتي تبحث وتكشف حياة هذه الطوائف وتفنيد عقائدها وممارسات عبادتها وشعائرها .

والبحث ينقسم إلى تمهيد وأربعة فصول :

يشتمل التمهيد على جذور : التنصر اليهودي في الأندلس وذلك من أجل الولوج إلى وسائلهم في تحقيق أهدافهم طبقاً للتطور الزمني والمكاني والسلوكيات التي حددت اتجاهاتهم.

الفصل الأول يحمل عنوان : المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية، ويتضمن التعريف بهذه الطوائف وتسميتهم ومعناه بين الشعوب التي عاصرت فترة ظهورهم .

وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

يتضمن المبحث الأول : آليات القوة اليهودية فترة العصور الوسطى على المستويات المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على اختلاف نواحيها .

ويتحدث المبحث الثاني عن : ردود الفعل الرسمية والشعبية المسيحية تجاه هؤلاء المنتصرين ، الإيجابية منها والسلبية .

ويتناول المبحث الثالث : الممارسات التي قامت بها محاكم التفتيش لأجل تحويلهم القسرى إلى المسيحية في إسبانيا والبرتغال .

والفصل الثاني بعنوان : المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي . وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ويتضمن طرق ممارسة المنتصرين للشعائر المسيحية .

والمبحث الثاني ويشتمل على : كشف وسائل وأساليب المنتصرين في إخفاء عقائدهم وشعائرتهم اليهودية .

وتتناول في المبحث الثالث : النخب والشخصيات المنتصرة واتباعها طرق المهادنة للمسيحية ومعاداتها لأبناء جلدتها .

والفصل الثالث بعنوان : معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم في أنحاء العالم . ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث .

يتضمن المبحث الأول علاقة المارانوس اليهود بالحركات المسيحانية التي صاحبت هذه الفترة .

والمبحث الثاني يتضمن : موقف الحاخامات والمشرعين اليهود تجاه المارانوس وخاصة فيما يختص بأمور الزواج .

ويأتى المبحث الثالث في ختام الدراسة ويتناول : موقف هؤلاء المارانوس الحالي من اليهود واليهودية .

ونخلص في النهاية إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

تمهيد

جذور التنصر اليهودي في الأندلس

في عام ٧٠م وقبل دخول المسيحية أوروبا كان اليهود يستوطنون أوروبا ، وعندما هدم الرومان المعبد في اورشليم ، سبوا آلافاً من اليهود وباعوهم في أوروبا ، إلا أن أغنياء اليهود اشتروهم ثم قاموا بعقبتهم فتكونت جاليات يهودية تعيش في أحياء خاصة بهم في أنحاء العالم تسور بأسوار يغلقونها عند غروب الشمس ، وكانوا يمتنعون التجارة وبعض الحرف ويحرصون علي امتلاك الأراضي^(١) . وكانت أكبر جالية يهودية هي تلك التي عاشت في إسبانيا .

وعندما دخلت المسيحية أوروبا بدأ العداء بين اليهود والمسيحيين الذي اشتد باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية في القرن الرابع الميلادي ، في ذلك الوقت شعر المسيحيون بخطر اليهود عليهم وعلي دينهم ، حيث عارضوا احتكار اليهود للثروة وجمع المال وأمور الربا الفاحش التي مارسوها إلي جانب الرشوة . فعاملوا اليهود كجالية تفرض عليها الضرائب ، كما سنوا عدة قوانين تفرق بين اليهود وغيرهم^(٢) .

وقد صدرت عدة قرارات من الجانب المسيحي تمنع استخدام اليهود في الأعمال ، وتؤكد ضرورة عتق أى عبد مسيحي يملكه يهودى ، إضافة إلى منع زواج المسيحيات باليهود ، ومنع الختان ، وحرمان اليهود من مزاولة شعائهم الدينية^(٣) . كما صدرت قرارات بحرق وقتل ورجم كل من يؤدى شعائر غير مسيحية ، مما اضطر بعض اليهود إلى اعتناق المسيحية ، وإقامة شعائر الدين المسيحي وأكل لحم الخنزير لإثبات صدق تنصرهم . وظلت تصدر القرارات المسيحية ضد اليهود والتي تقضى بتسليم كل اليهود - سواء من اعتنق المسيحية منهم ومن لم يعتنقها - وكافة ممتلكاتهم إلى المسيحيين ، وبذلك أصبح اليهود مستعبدين لدى المسيحيين^(٤) .

(١) عبد المجيد ، محمد بحر ، اليهود في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٦ ، ٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠ ، ١١ .

(٣) نفسه ، ص ١٦ .

(٤) برنز يواكيم : بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣م ، ص ١٧ . وبرنز يواكيم حاخام يهودي صهيوني عاش في بدايات القرن العشرين .

وفي عام ٥٨٩م بدأت الاضطهادات ضد اليهود و تمثلت في القرارات التي أصدرها المجلس الكنسي في طليطة وكانت كالتالي :

- ١- منع استخدام اليهود للمسيحيين في أى نوع من الأعمال .
 - ٢- ضرورة عتق أى عبد مسيحي مملوك ليهودى .
 - ٣- فصل كل اليهود الذين في خدمة الحكومة ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلاً .
 - ٤- منع زواج المسيحيات باليهود .
 - ٥- منع الختان الذى كان يفرضه اليهود على عبيدهم وخدمهم ومعاقبة أى يهودى يفرض الختان على خدمه وعبيده بمصادرة أملاكه .
 - ٦- ضرورة تعليق اليهودى شارة مميزة في مكان ظاهر حتى يعرفه الجميع ^(١) .
- وعلى الرغم من صدور تلك القرارات إلا أنها لم تكن نافذة نتيجة لتشجيع الحكام الكاثوليك لليهود لأجل مصالحهم حتى وصل الأمر إلى استهزاء اليهود بالمسيحيين ، وخاصة في عيد البوريم الخاص باليهود حيث كانوا يحرقون فيه صليباً كنوع من الاستهزاء بالمسيحية ^(٢) .

وفي سنة ٦٣٣ أصدر المجلس الكنسي قرارات أخرى في طليطة جاء فيها :

- ١- يتحتم على كل يهودى أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتقوم بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية .
 - ٢- يسلم كل يهودى ارتد عن المسيحية لأحد المسيحيين ليتخذه عبداً .
- غير أن تنفيذ هذه القرارات لم يأخذ طابع الحزم كذلك . على الرغم من استمرارية رجال الكنيسة في التفكير لتضييق الخناق على يهود إسبانيا ^(٣) .
- وبعد هذه القرارات المضادة لليهود من الجانب المسيحي تعهد اليهود أن يتحولوا إلى المسيحية إلا أنهم ظلوا علي ممارسة شعائرتهم اليهودية سرّاً ، ولما رأى المسيحيون أن اليهود

(١) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

(٣) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

لا يوفون بعهدهم أمروا بتسليم كل اليهود - سواء من بقي علي دينه أو تحول - ليكونوا عبيداً للمسيحيين ومصادرة جميع ممتلكاتهم، وظل هذا الحال حتى دخل الإسلام إسبانيا ^(١) . ونتيجة لتلك المعاملة التي واجهها اليهود من الجانب المسيحي ، فقد لقي الفتح الإسلامي للأندلس بقيادة طارق بن الوليد عام ٧١١ ترحيباً كبيراً من جانب اليهود حيث هاجر كثير من يهود أوربا إلي الأندلس وتجمعوا في قرطبة وطليلة وإشبيلية وسراقسطة وخصصوا إحياء خاصة بهم هناك ^(٢) .

وعند دخول الإسلام الأندلس قام اليهود بتقديم مساعدات فعالة للعرب المسلمين ، وكانوا يعرضون على قائد الجيش الإسلامي خدماتهم ، حيث تولوا حراسة المدن المفتوحة وتأمينها . وعندما استقر الحال للمسلمين منحوا اليهود حريات غير مسبقة ، فعاشوا فترة تعد نموجاً عظيماً للمعاملة الحسنة بين أصحاب الحكم و رعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى ؛ فانتعش الاقتصاد اليهودي أيما انتعاش خلال القرن الأول للفتح الإسلامي ، وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للرخاء الاقتصادي الذي تمتع به اليهود ^(٣) . حيث جمع اليهود خلال العهد الإسلامي أموالاً طائلة، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال إلي اليهود الفقراء من خارج إسبانيا ^(٤) .

وخلال العهد الإسلامي أنشأ اليهود مراكز ثقافية ، خاصة في قرطبة ، وانكبوا علي دراسة العلوم العربية إلي جانب العبرية ^(٥) .

ومن أبرز علماء اليهود الذين بزغوا في القرن العاشر فترة العهد الإسلامي في الأندلس حسداي بن شبروط ^(٦) الذي كان وزيراً للمالية وسفيراً ، وعين طبيباً بقصر أمير المؤمنين

(١) نفسه ، ص ١٧ .

(٢) نفسه ، ص ٢١ .

(٣) عبد المجيد ، محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ٢٠ .

(٤) نفسه ، ص ٢١ .

(٥) نفسه ، ص ٢١ .

(٦) حسداي بن شبروط طبيب وسياسي يهودي ، كون حوله مجموعة من علماء اليهود التلموديين . ولد في أسرة ابن عزرا المثقفة، علمه أبوه اللغات العبرية والعربية ، واللاتينية ، ودرس الطب ، داوى الخليفة من أمراضه ، وأظهر من واسع المعرفة وعظيم الحكمة في الأمور السياسية ما جعل الخليفة يعينه في الهيئة الدبلوماسية للدولة . تردد الخليفة في منحه رسمياً لقب وزير خشية أن يثير عليه النفوس . قام حسداي بمهام منصبه بكياسة أكسبته

عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ - ٣٦٦هـ) (٩١٢ - ٩٧٦م) وكان أمير المؤمنين يستشيريه في أمور الدولة والتجارة ، واستطاع جمع أموالاً كثيرة ، واشتهرت مكتبته بغناها بالكتب العبرية ، وأنشأ مدرسة للدراسات اليهودية ، وكرمه أمير المؤمنين بأن عينه حاخاماً أكبر لليهود الأندلس، وكان يقصده شعراء اليهود وأدباؤهم ملدحه ^(١) .

كما اشتهر من علماء اليهود صموئيل بين ناجديلا (٩٩٣ - ١٠٥٥م) ^(٢) الذي كان وزيراً لملك غرناطة. وأبو الفضل بن حسداي ^(٣) وكان وزيراً عام ١٠٦٦ في سرقسطة ، وإبراهيم بن عزرا (١٠٩٣ - ١١٦٧) المولود في طليطة ، وشلومو بن جبيرول (١٠٢١ - ١٠٥٢م) ^(٤) في ملقا .

= محبة العرب واليهود والمسيحيين على السواء ، وقد شجع العلوم والآداب ، وجمع حوله الشعراء والعلماء والفلاسفة ، ولما مات تنافس المسلمون واليهود في تكريم ذكره (ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، طبعة بيروت ، ص ٥١) . استدعى حسداي إلى قرطبة يهوداً كثيرين من الشرق ، وأصبح في قرطبة مركز روحى ودينى، ازدهرت فيه الحضارة اليهودية الأندلسية ، ترجم كتاباً في الطب إلى اللغة العربية (فلاح : سلمان ، تاريخ العرب ، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية ، أورشليم ، ١٩٦٥م : ٢١٦/١) .

^(١) بحر ، مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٣ .
^(٢) صموئيل بن ناجديلا عالمي تلمودى وشاعر ، شغل منصب وزير للمالية عام (١٠٢٧م - ١٠٤١هـ) ولد في قرطبة عام ٩٩٣م ونشأ فيها ، جمع بين دراسة التلمود والأدب والعربى ، وكان تاجراً . لما سقطت قرطبة في أيدي الإسبان انتقل إلى مالقة ، كان أمين سر وزير الملك ، ثم أصبح مستشاره ، وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يخلفه وبذلك أصبح شموئيل عام ١٠٢٧م اليهودى الوحيد الذى شغل منصب وزير في دولة إسلامية ، وحظى بهذا اللقب . وازدهرت غرناطة في عهد شموئيل من النواحي المالية ، والسياسية ، والثقافية . وكان عالماً وشاعراً ونايعة في الفلك والرياضة واللغات ، وقد ألف عشرين رسالة في النحو (معظمها بالعبرية) وعدة مجلدات في الشعر والفلسفة ومقدمة للتلمود ، ومجموعة من الأدب العبرى . كان يقتسم ماله مع غيره من الشعراء ، وأمد بالمال طائفة من الطلاب الشباب ، وأعان الجماعات اليهودية في القارات الثلاث كان وهو وزير الملك وحاخاماً لليهود ، يحاضر عن التلمود . ولقبه بنو ملته - اعترافاً منهم بفضله - بالنجيد - (الأمير في إسرائيل) ولما توفى عام ١٠٥٥م خلفه في الوزارة ابنه يوسف بن ناجديلا . (ول ديورانت ، قصة الحضارة : ٥٣/١٣) .
^(٣) أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود ، متصرفاً في دولة ابن رزين ، وكان له في الأدب باع ، ونشأ ابنه أبو الفضل هضبة علاء وجذوة ذكاء . وذكر أنه عني بالتعاليم وأسلم وساد .
islampart.com/d/3/adbb/1/125/725.html - 47k

^(٤) سليمان بن جبيرول (١٠٢١ - ١٠٥٦) Solomon Ibn Gabirol شاعر وفيلسوف عربى يهودى كتب بعض الأعمال بالعبرية . عاش في إسبانيا الإسلامية (الأندلس) ، وعُرف عند العرب باسم أبي أيوب سليمان بن يحيى بن جبيرول . وُلد في ملقا ، وكان قبيحاً معتل الجسم . نزع إلى سرقسطة حيث تعرّف إلى رئيس الجماعة اليهودية في المدينة الذي قُتل عام ١٠٣٩ . ثم اتجه ابن جبيرول إلى غرناطة ملتجئاً إلى ابن نغريلا وانضم إلى

ويهوذا آل ليفي (١٠٨٠ - ١١٤٠) وموسي بين ميمون القرطبي (١١٣٥ - ١٢٠٤)^(١)

كل هذه الشخصيات حظيت بمكانة بارزة ومرموقة وعاشت في ظل الحكم الإسلامي الإسباني وكانوا ناقلين لأغماط الحياة الإسلامية ، ونتيجة لعقيدتهم وسلوكياتهم الأقرب إلى المسيحية ؛ فقد حظوا بثقة الملوك والنبلاء الأسبان الذين استخدموهم كأطباء وعلماء ومصرفيين وموظفين ودبلوماسيين وقائمين على أمور الملوك والنبلاء^(٢) .

=حاشيته. ويُقال إنه مات في ظروف مشاهة لموت يهوذا اللاوي. وربما يدل هذا على الجانب الأسطوري في القصة التي تذهب إلى أن عرباً قد قتلوه. نَظُم عدة قصائد عربية على نظام الموشحات، كما نظم قصيدة تتناول النحو العربي على غرار ألفية بن مالك، وكتب المدائح في أولياء نعمته. وتعالج قصائده الدينية موضوعات مثل الحب والخمريات ووصف الطبيعة والشكوى من الزمان والعالم. أما قصائده الدينية، فتعالج الموضوعات اليهودية التقليدية مثل البكاء من أجل صهيون. كتب ابن جبيرول بعض الأعمال الفلسفية بالعربية كعادة المفكرين العرب من اليهود، ثم تُرجمت هذه الأعمال إلى العبرية فيما بعد، ومنها إلى اللاتينية، حيث تركت أثراً في الفكر المسيحي. ومن أهم مؤلفاته كتاب يبنوع الحياة الذي يبين أثر الأفلاطونية المحدثة عليه. وتتميز مؤلفاته بأنها خالية من الإشارة إلى اليهودية والعهد القديم، كما أنها تتناول موضوعات فلسفية ذات صبغة إنسانية في العادة ؛ ولذا كان البعض يتصور أن مؤلفاته من وضع كُتّاب مسلمين. وقد اشترك بياليك في جمع أشعاره ونشرها عام ١٩٢٤.

(١) موسى بن ميمون، فيلسوف يهودي وطبيب، من كبار اللاهوتيين اليهود في القرون الوسطى، يسميه الغربيون ميمونيدس. درس العلوم الدينية واليهودية والعربية، ولد في قرطبة سنة ١١٣٥م، وتوفي بمصر ١٢٠٤م ودفن بطبرية في فلسطين، تربي في بيئة علمية، وعاش بقرطبة، ثم نزح إلى مصر، واستقر في مدينة القسطنطينية، أسس اليهود فيها مدرسة لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضة والطب وانضم موسى إلى هذه المدرسة، وأصبح من أساتذتها البارزين، وتلمذ على يده الكثير من اليهود، مارس الطب، وعالج الحكام الأيوبيين، كما عمل طبيباً لصالح الدين الأيوبي، وألف كتباً كثيرة في الطب والفلسفة من أهمها كتاب (لدلائل الحائرين)، كما كتب كتاباً في شرح (المشنا) سمي كتاب (السراج) وهو أقدم كتاب عبري بعد أسفار الكتاب المقدس. وأنشأ مدرسة بالإسكندرية تعد نواة للجامعة العربية التي أنشئت في فلسطين، وله في السدين كتاب اسمه (القرائض) وفيه عرض للحلال والحرام في الشريعة الموسوية. وتلقى رسائله الخاصة ضوءاً على تاريخ اليهود في القرن ١٢م. ولم يثبت ما أشيع عن اعتناقه الإسلام (عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٥١٤ - ٥١٥).

(٢) كاسترو: أميركو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة على إبراهيم منوف، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ص ٥٤١. وأميركو كاسترو (١٨٨٥ - ١٩٧٢) من أبرز النقاد والعلماء الأسبان، ولد بإحدى المدن البرازيلية، وعمل أستاذاً جامعياً بجامعة مدريد وعدد من الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي القرن الحادي عشر ذاع صيت كثير من اليهود في النحو العبري ، وكانوا يستخدمون البحور العربية في أشعارهم ، في لوسانيا ^(١) .

تلك الفترة التي عاشها اليهود في الاندلس في ظل الإسلام أطلق عليها اليهود العصر الذهبي (תור הזהב) وذلك لازدهار اللغة العبرية وآدابها فيها ، حيث استطاع اليهود - في هذه الفترة - أن يؤلفوا كتبًا مازالت تعد من أمهات الكتب في اللغة العبرية وآدابها ، ولم يكن هذا الازدهار الفكري بين اليهود إلا ثمرة من ثمار الحرية السياسية والاقتصادية والأدبية التي حظى بها اليهود تحت حكم العرب الفاتحين للاندلس .

وطوال العهد الإسلامي لم يتم اضطهاد اليهود المقيمين ، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، ولم يقف ذلك عند حد حرية العبادة ، بل تعداها إلى حرية العمل والتملك والحياة الحرة الكريمة . وقد استطاع اليهود خلال العهد الإسلامي تحقيق ثروات ضخمة نتيجة استرجاع أراضيهم وأملاكهم التي صادرها الحكومات المسيحية السابقة ، كما نالوا أعلى المراكز والمناصب التي منحها لهم المسلمون من وظائف مالية وإدارية مهمة في الدولة ^(٢) . وفي طبقة كان العرب واليهود يعملون إلى جانب الأسبان والألمان والفرنسيين والإنجليز والبلقانيين .

وفي القرن الثاني عشر قام اليهود بإحداث نهضة شاملة في مجالات الترجمة والفلسفة وانتشرت أعمال أرسطو طاليس عن طريق الفلاسفة العرب وابن رشد وابن سينا تلك الأعمال التي اعتمد عليها التعليم في ذلك الوقت وجمع بعضهم الطب مع الفلسفة ومثال على ذلك موسى ابن ميمون أشهر العلماء والفلاسفة اليهود الذي مارس الطب في إسبانيا ومصر .

وكانت فلسفة أرسطو في ذلك الوقت هي رمز العقلانية الجديدة التي بدأت تنمو في العصور الوسطى وقد تطورت وظهرت واضحة في أفكار مارتن لوتر وديكارت أقطاب الإصلاح التنويري التحرري ^(٣) .

(١) بحر، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٢) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .

والحقيقة فإن الامتيازات التي منحت لليهود في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس كثيرة ومتنوعة، لكنها ليست هي موضوع دراستنا التي نهتم بالوضع اليهودي في البلاد خلال العصر المسيحي الكاثوليكي الذي شهد محاكم التفتيش "אָפּהאַנגקאָנג" في منطقتي إسبانيا والبرتغال ، والأساليب التي اتبعها اليهود في التعامل معها ^(١) .

ففي بداية الحكم المسيحي الكاثوليكي للبلاد وبعد نهاية الحكم الإسلامي ، تكونت في الأندلس عدة ممالك منها قشتالة وأرجون وغرناطة وأشبيلية وسرقسطة وغيرها ، حيث قام اليهود بإعادة نفس الدور الذي لعبوه من قبل مع المسلمين ، وذلك في سبيل تحقيق مصالحهم، فقد قاموا بمد يد المساعدة للمسيحيين من أجل استعادة إسبانيا والتخلص من الحكم الإسلامي ، باعتباره حرباً مقدسة ، الأمر الذي جعل المسيحيين يوطنون اليهود في المدن المفتوحة ، بينما كانوا يطردون المسلمين منها .

لكن عندما قوى أمر المسيحية الكاثوليكية في البلاد ، ونجحت في طرد المسلمين وإبعاد الإسلام منها ، ازداد الصراع بين اليهود وكل ما هو مسيحي كاثوليكي ، فالمسيحي يعتقد أن اليهودي يطلب دمه لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يقوم بخطف الأطفال المسيحيين ويقوم بقتلهم لهذه الأغراض ، وأنه يتعاون مع العرب المسلمين والتتار أعداء المسيحية ، ومن هنا كان عداؤهم لأوروبا لهؤلاء اليهود شديداً ، والذي وصل إلى حد التنكيل والطرده والسجن ، ومصادرة أموالهم ، فحاول اليهود بسبب هذا الاضطهاد استدرار عطف الشعوب ، وجعل أنفسهم في صورة المعتدى عليه المظلوم . وهناك رأى يقول : إن كثيراً من الناس ساعد اليهود في محاولة إقامة وطن قومي لهم .. حتى يتخلصوا من شرورهم وتواجههم في بلادهم ^(٢) . وكان العنصر اليهودي هو المفضل عن الإسلامي لدى المسيحي ؛ وذلك لمهارته في الأعمال الزراعية والإدارية والمالية والعسكرية ، وأيضاً لاستخدامه كعنصر مشارك للجيوش المسيحية على كافة المستويات . وقد ظهر هذا التفضيل للعنصر اليهودي

(١) ر' درويز ، "ההקשר הסמוי מן העין: על תוצרים ספרותיים של מפגש תלת-תרבותי

בימי הביניים" ، מעמים מז-מז (תשנ"א) ، עמ' ٢٨-٩

(٢) درويز : هدي ، العلاقات التركية اليهودية وآثرها على البلاد العربية ، الجزء ١ ، دار القلم ، دمشق ،

٢٠٠٢ م ، ص ٤٠٢ .

من خلال السماح لليهود بالسكن داخل المدن ، بينما كان المسلمون يسكنون خارجها - مثلما كان الوضع في سرقسطة عام ١١١٨ م .

ومن أهم أسباب تفضيل العناصر اليهودية على الإسلامية ، أن العنصر الإسلامي في المنطقة كان يشكل قوة كبيرة ، يخشى منها ، وذلك بسبب قوة الدول الإسلامية المحيطة ، والتي كان يمكنها أن تمد يد العون للمسلمين في أى وقت ؛ وخاصة القوة العثمانية التي كانت تشكل قوة إسلامية كبرى في ذلك الوقت^(١) أما الطوائف اليهودية في إسبانيا فكانت تشكل وحدات بشرية صغيرة منعزلة ، تابعة للملك مباشرة ويدينون له بالولاء وكان بإمكانه القضاء عليهم في أى وقت شاء^(٢) .

وكان اليهود الأسبان منذ بدايات القرن الحادى عشر يتغلغلون داخل إدارة البلاد ليمثلوا مصدرًا أساسيًا للثروة لدى المسيحي ، وكان الصراع دائرًا وقويًا - بين الملوك من جانب ، والكنيسة من جانب آخر - حول الاستفادة من المصدر اليهودى المدر للمال والثروة حيث سُمح لأعضاء الطائفة اليهودية ببناء المعابد لممارسة شعائهم، واعتلاء الوظائف بهدف تنمية المجتمعات، واستصلاح الأراضي الزراعية، كما استُخدموا سفراء ومترجمين للتراث العربى^(٣) .

وكان الحكام المسيحيون الكاثوليك يسندون لليهود مهمة جباية الأموال من الفقراء لصالح الأغنياء المسيحيين ، ومن ثم ظهر العداء الشعبى المسيحى لهؤلاء اليهود المغتصبين أموالهم لحق غيرهم من السادة المسيحيين . أما رجال الدين المسيحى فقد وقفوا موقفًا معارضًا لما يوليه الحكام والملوك الأسبان من مناصب مهمة لليهود ، وقد أدى هذا إلى ظهور صراعات شديدة بين الملوك من جانب، والكنيسة والشعب ورجال الدين من جانب آخر استمرت ما يقرب من أربعمائة عام^(٤) .

(١) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)

עיונות בין מוסלמים לנצרות www.tzafonet.org.il ٢٠-٣-٢٠٠٧ .

(٢) ظا : حسن ، الفكر الدينى اليهودى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ٢٥٨ .

(٣) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(٤) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٨٣ .

ومما زاد من حدة هذا الصراع ان اليهود في القرنين الحادى عشر والثانى عشر كانوا يمتلكون ثلث الأراضى في مقاطعة برشلونة ، ولهم حقوق أكثر من السكان المسيحيين الأصليين أنفسهم ، ولكل بلاط ملكى طوائف كثيرة من اليهود تعمل داخله ^(١) . كما برز الدور اليهودى في إسبانيا في علوم الفلك لقرون امتدت من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر خاصة في عهد الملك ألفونسو العاشر وفي عهد بدروا الثالث ملك أرجون حيث نجد بروز شخصيات يهودية شهيرة في علم الفلك ^(٢) . وكان اليهود يقومون بقراءة الطالع للملوك عند تنويعهم ، كما كانوا يقومون بنقل العلوم الجغرافية العربية إلي البرتغاليين خلال الفترة من ١٣٧٥ - ١٣٨٥ م عن طريق رسم الخرائط ^(٣) . كما أفاد اليهود الأسبان ، الأجانب الذين كانوا يفدون إلي طليطة بهدف معرفة المخطوطات العربية التي قام بترجمتها هؤلاء اليهود الذين كانوا يعملون في مجال الترجمة والذين كانوا ناقلين للفلسفة والفلك والرياضيات والطب من العرب ^(٤) وكان ذلك علي عهد ألفونسو العاشر الذي اهتم كثيراً بالحياة الثقافية في ذلك الوقت ، إلى جانب الاهتمام بالعلم والعلماء اليهود وترجماتهم من العربية إلي اللغة القشتالية ، وخرجت أعمال مهمة مثل كتاب " القوانين " و"التاريخ العام" وهي ترجمات لكتاب يهود مجهولة المؤلف وكان يوضع عليها اسم الملك ألفونسو العاشر ^(٥) . ونتيجة للتغلغل اليهودى في البلاد أصدر المجمع الكنسي الرابع في عام ١٢١٥ قراراً آخر يقضى بحمل اليهود علامة متميزة ليم تمييزهم عن المسيحيين ، إلا أن اليهود عارضوا هذا القرار وهددوا بالذهاب إلي قطاع المور (المسلم) ذات المساحات الشاسعة ، الأمر الذي أدى بالملك فرناندو الثالث وأسقف طليطة بتقديم التماس للبابا بإلغاء القرار ، وقد قبل الباب أونوريو الثالث ذلك الرجاء عام ١٢١٩ ^(٦) .

(١) المسيرى ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣ .

(٢) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٤٢ .

(٣) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٣٣ .

(٤) نفسه ، ص ٥٤٤ .

(٥) نفسه ، ص ٥٦٠ ، ٥٦١ .

(٦) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥ .

وفي عام ١٤١٨ هدد الملك أساقفة سرقسطة بقطع المؤن الدورية عنهم بسبب بيان الأسقف الصادر بإغلاق الأبواب والنوافذ الخاصة بالمنازل اليهودية التي تطل على الجزء المسيحي للمدينة وارتداء اليهودي زيّاً خاصاً^(١). وحتى القرن الخامس عشر كان في شبه جزيرة أيبيريا ما يقرب من ٧ أو ٨ مليون نسمة ، وكانت أعداد اليهود فيها لا تتجاوز ٢٣٥ ألف ، مما يدل على أن أهمية اليهود تكمن في الأعمال التي كانوا يؤديونها وليس في تعدادهم^(٢).

وخلاصة القول أن الفترة من القرن العاشر حتى الخامس عشر شهدت إسبانيا سياقاً مسيحياً إسلامياً يهودياً وكل منهم كان يؤثر في الآخر تأثيراً لا يمكن فصله عن بعضه^(٣).

(١) نفسه ، ص ٥٧٦ .

(٢) نفسه ، ص ٦٤٩ .

(٣) نفسه ، ص ٥٣٨ .

الفصل الأول

المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية

بدأ ظهور ما يعرف بـ المارانوس (اليهود المنتصرون) في عام ١٣٩١م حينما قامت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية المسيحية ضد ممارسات اليهود في الدولة ، نتيجة لاستحواذهم على المناصب المهمة في البلاط الملكي ، وتملكهم الأعمال المهنية والحرفية في البلاد ، وسيطرتهم على النشاط التجارى والمالى ، وتدخلهم في المراكز الحيوية بالدولة الخاصة بالمسيحيين ، إلى جانب استخدامهم الربا والرشوة في المجتمع ، حيث ظهروا بشكل المتفوق على المسيحي ، ولهذا فقد أصدرت الحكومة ضدهم أحكاماً إما بالموت أو الصلب ، ومن ثم بدأت تنشأ في البلاد موجة من أعمال العنف ، نتج عنها قتل وإصابة كثير من اليهود مما أدى إلى تنصر أعداد كبيرة من اليهود .

ونتيجة لتصاعد اضطهاد اليهود من جانب المواطنين المسيحيين، ترك العديد من اليهود إسبانيا، ومن بقى منهم قاموا بتغيير عقيدتهم للمسيحية ، حيث تكونت لديهم هويتان ، اليهودية الأصلية الباطنية ، والأخرى المسيحية الشكلية والتي قادتهم الى الخيانة ، فظهر منهم من خان إخوانه أبناء دينه من اليهود حفاظاً على مركزه ، ومنهم من طاردهم ، ومنهم من أوحى بإنشاء محاكم التفتيش ضدهم^(١) . ومن ناحية أخرى قام اليهود بمحاولة التسلل إلى صفوف الرهبان ، فأصبح منهم البطارقة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية ، بينما ينشرون مبادئهم اليهودية سرّاً بين صفوف النصارى ، كما قاموا بمحاولة التغلغل إلى حريم ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب .

ومن ناحية أخرى سادت بين اليهود في تلك الفترة أفكار فلاسفة اليونان - أمثال أفلاطون وسقراط- والتي رأوا فيها أنها مطابقة لقواعد اليهودية وأوامرها ، كما ادعى حاخامات اليهود أن النظريات اليونانية هي نفس ما جاء في دين اليهود ، وأن الفلسفة التي

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٥ .

سادت الغرب ، ترجع أصولها إلى اليهود وشريعة التوراة . وكانت نظرياتهم هذه تهدف إلى السيطرة والسيادة على الشعوب فصدرت الاتهامات ضدهم بالهرطقة من الجانب المسيحي ، وأصبح مجرد الاحتفاظ بكتاب لأفلاطون أو أرسطو جريمة لا تغتفر ، يعاقب عليها القانون ، وقد حدثت هذه الحركة الفكرية خلال القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر .

وقد بدأ ظهور المارانوس - وهم اليهود الذين اعتنقوا المسيحية - كمصطلح للتعبير عن المتنصرين عموماً ، وهو لفظ يحمل هجوماً واستفزازاً وامتهاناً لمن يطلق عليه هذا اللقب ، إذ أنه يعنى "الخنازير" .

المارانوس لغة واصطلاحاً :

عرف اليهود الذين تنصروا فترة الحكم المسيحي الكاثوليكي للأندلس باسم الـ "أنوسيم" " **אנוסים** " وهى كلمة عبرية معناها "المضطرون" أو "المكروهون" أو "المغلوبون" على أمرهم ، لأجل تغيير دينهم إلى المسيحية ويسمون بالإسبانية "كونفيرسوس" بمعنى المعتنقين للدين ، وكان البرتغاليون يسموهم "كريستائوس نوفوس" ويعنى المسيحيين الجدد **הנוצרים החדשים** ^(١) .

كما يشار إليهم باسم التشويتاس (**תשويتס**) ^(٢) في جزيرة مايوركا ^(٣) .

وقد اختلف في أصل كلمة "مارانوس" ، فقليل إنما تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالآرامية، هما "مارن - آت" (**מרן את**) ومعناها "أنت مولانا" والخطاب بهما موجه إلى المسيح. حيث كان يفرض على اليهودى الأندلسى الأصل أن ينطق بهما كثيراً لإبعاد الشبهة عن نفسه ، ثم أصابهما التحريف فصارتا "ماراناس" ثم مارانوس .
وهناك رأى آخر يقول أن أصل التسمية بالعبرية هو كلمة "مومارن" (مومار) أي "مارق" وتضاف اللاحقة الإسبانية "انو" لتصبح "مومارنو" (مومارنو) ثم صارت "مومارنو" (مارانو).

(١) **האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאת ספרית פועלים . ١٩٨٨ . ع ٣٥٥-٣٥٦ .**

(٢) تشويتاس Chuetas من كلمة "تشويا" وتعنى "لحم خنزير" بلهجة جزيرة مايوركا ، إحدى جزر البلياريك التابعة لإسبانيا ، غير أن هناك نظرية أخرى تذهب إلى أن الكلمة مشتقة من كلمة "تشوهينا" وتعنى "يهودى" بلهجة الجزيرة .

(٣) **האינציקلופדיה העברית כרך רביעי (אנוסים) .**

وكلمة "مارانوس" في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية تعني : المنافق ، والخائن ، والديء ، واللص ، والكذاب ، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة ^(١).

ويرى البعض الآخر أن الاسم "marrano" مارانو يرجع إلى الكلمة العربية محرم "ממרא" وهو تعبير يطلقه المسلمون على حيوان الخنزير "חזיר" ، فعلى الرغم من أن كلاً من الديانتين الإسلامية واليهودية تحرمان تناول لحم الخنزير، إلا أنه تم إطلاق لفظ المارانوس على كل المنتصرين الذين اعتنقوا المسيحية من خارج البلاد ، بينما أبطنوا ديناً آخر كما أطلقوه أيضاً على كل من يحرم على نفسه تناول لحم الخنزير ^(٢).

وورد في الموسوعة اليهودية في اشتقاق هذا الاسم عدة أقوال : ف قيل أنها ترجع إلى «ماترانثا» وهي كلمة إسبانيا معناها «الملعون» ، وأيضاً بمعنى «المُرْاثي» وهي كلمة عربية معناها «منافق» ، ونجد مرادفاً لهذا المعنى في العربية بتعبير «مارنيت عيين» (מארנאית עינים) ومعناه «ظاهر للعين» ، بمعنى أنه يُظهر المسيحية ويبطن اليهودية، كما أطلق عليه في العبرية «مخوّرام أناه» (מחוראם אנה) ومعناه «أنت مطرود من حظيرة الدين» ^(٣).

ولم يكن هذا المصطلح شائعاً في الأوساط الرسمية، ولم يرد في أي من الوثائق الرسمية ^(٤). وكلمة "مارانو" باللهجة العامية الإسبانية القديمة معناها "الخنزير"، فتكون "مارانوس" صفة ذم لكل الذين دخلوا الدين المسيحي وهم غير أوروبيين ولا ينحدرون من أصول لاتينية ، ويلاحظ أن ذلك المعنى كان يطلق على العرب الذين ظلوا في الأندلس بعد قيام المسيحية ، ودخلوا المسيحية ^(٥).

(1) ظاذا : حسن : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(2) WWW.wikipedia.org

(3) jewish encyclopedia , Marano

(4) WIKPEDIA.COM

(5) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥-٣٥٦ .

المبحث الأول

آليات القوة اليهودية في إسبانيا والبرتغال

يطلق على اليهود الذين هاجروا إلى شبه جزيرة ايبيريا التي تضم إسبانيا والبرتغال " السفارديم " ^(١) وكانوا يتحدثون بلغة اللادينو التي تعتمد على أصول لاتينية إلى جانب بعض المصطلحات العبرية وكانت اللادينو هي اللغة الرسمية في الجامعات والمدارس في إسبانيا في القرون الوسطى وهي مركبة من اللاتينية والاسبانية ^(٢) .

وقد سبق القول أن الملوك الكاثوليك ورجال البلاط في إسبانيا اعتمدوا على اليهود كمصدر أساسي للمال، حيث أدى ذلك إلى حدوث صراع حاد بين الملوك من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، بسبب الرغبة في البقاء اليهودى في البلاد ؛ وقد استمر

(١) يطلق اسم سفارد أو سفارد على إقليم لعله آسيا الصغرى ، نقل إليه نبوخذ نصر بعض اليهود في ٥٩٧ ق.م ثم أطلق اللفظ بعد ذلك على بلاد إسبانيا - (ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص ٥٠) ، وذكر أيضًا لفظ سفارد في سفر عوبديا ما نصه : "وسى هذا الجيش من بنى إسرائيل يرون الذين هم من الكنعانيين إلى صرفه ، وسى أورشليم الذين في سفارد يرون مدن الجنوب ، ويصعد على جبل صهيون ، ليدنوا جبل عيسو ، ويكون الملك للرب (سفر عوبديا) (الكتاب المقدس ، فصل ٢ ، ص ١٣١٤ ، طبعة ١٩٩٥ م .

وقد أطلق السفارديم على يهود إسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين ، والسفارديم يدعون أنفسهم (باراستقراطية) اليهود على الأساس الديني الذي ينتمون إليه (جدهان : جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط - فبراير ، ١٩٦٧م ، مرجع سابق ، ص ٢٣) .

وفي إسبانيا الإسلامية تأثر اليهود السفارد في عبادتهم وتلاوتهم وتراتيلهم بالذوق العربي ، وانفردوا بتصوص شعرية ونثرية في أدعيتهم وصلاتهم وكانت قرية الشبه بما عند المسلمين ، وتم اعتبار عبرية السفارد اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة ، وكانت لغة التعليم في المدارس ، ويهود العالم العربي من السفارد ، وكانوا في بادئ الأمر يتكلمون العربية حتى القرن ١٣ ثم تكلموا الإسبانية (أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٧ ، دمشق ، ص ٦٩٩) ؛ كما أن يهود إيران كانوا من السفارد (حسن ظاغا ، الفكر الديني الإسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، طبعة ١٩٧٥م ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧) ؛ أنشأ السفارديم لأنفسهم حياة خاصة ، وكانت لهم طقوس دينية متميزة ، وكانت أعدادهم في الدولة العثمانية تفوق جميع الهيئات الدينية الأخرى ، حتى أنهم تزعموا هناك كافة الملل ، (كمال حبيب : المجتمع الإسلامي والغرب ، س.د. ٢ / ٣٤٩ ، ٤١١ ، نقلا عن هاملتون جب وهارولد برون) .

ويتميز السفارديون عن الإشكنازيين في الثقافة بسبب استفادتهم من العرب في الأندلس .
اما الإشكنازيون فكانوا منطوين على أنفسهم ، وكانت أعلى الطبقات المرفهة من اليهود من السفارديم ، وكانوا يعدون أنفسهم أرقى ثقافيًا وأعلى من الإشكنازيين (أحمد سوسة ، مرجع سابق ، ص ٧٠٠) .

(٢) ظاغا ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ، وهدي درويش ، العلاقات التركية اليهودية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

هذا الصراع داخل البلاد بين السلطتين الملكية والدينية على مدى أربعة قرون ، حيث مثل صراعاً بين التقدميين (الملوك والنبلاء) من جانب والرجعيين (رجال الدين المحافظين والشعب) من جانب آخر حول أوضاع هؤلاء اليهود .

قوة اليهود على المستوى السياسي في الأندلس :

كان للتنصر اليهودى جذور قديمة في إسبانيا منذ الحكم المسيحى السابق للإسلام ، ففي عام ١٠٩٦ أثناء الحملة الصليبية الأولى إضطر عدد كبير من اليهود الى دخول المسيحية والتعميد ، وعندما زال الخطر رجعوا إلى اليهودية ، وفي مدينة طليطلة وبعد حمامات الدم التي شهدتها أشبيلية عام ١٣٩١م تحولت مئات من الأسر اليهودية إلى المسيحية تحولاً ظاهرياً ، إلا أنهم كانوا يختنون أطفالهم سرّاً ويتقيدون بشرائع السبت ويستغلون يوم الأحد، ويجرمون السيدة مريم ويطلقون عليها "الخاطئة" ، وكانوا يدفنون موتاهم حسب الشريعة اليهودية ^(١) .

وقد وجد الملوك الأسبان أن الوجود اليهودى يحقق لهم مصالحهم الشخصية، الأمر الذى جعل الملوك يمنحونهم حريات وحقوقاً مقابل ما يؤدونه من خدمات للبلاط الملكى ، ومثال على ذلك تلك الحقوق التى منحها لهم الملك ألفونسو العاشر عام ١٢٦٣ حيث حرم قهمة الدم "לוללות דם" ^(٢) ، ومنع أية مضايقة لهم يوم السبت ، أو تعطيلهم عن أداء شعائهم، حتى لو وُجدت أسباب قانونية شرعية لذلك ، وكانت غرامة قتل اليهودى تعادل الغرامة التى تُدفع عن قتل فارس أو قس ^(٣) .

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) «قهمة الدم» "לוללות דם" أو "Blood Libel" "وهي اقام اليهود بأنهم يقتلون صبياً مسيحياً في عيد الفصح سخرية واستهزاء من صلب المسيح. ونظراً لأن عيدي الفصح المسيحى واليهودى قريبان ، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيتهم في شعائهم الدينية وفي أعيادهم ، وبخاصة في عيد الفصح اليهودى ، حيث أشيع أن خبز الفطير غير المخمر (חמץ) الذي يؤكل فيه يُعجن بهذه الدماء. وقد تطورت الإشاعة، فكان يُقال أن اليهود يُصَفّون دم ضحاياهم لأسباب طبية أو لاستخدامه في علاج الجروح الناجمة عن عملية الختان ، (WWW.wikipedia.org) .

(٣) المسيرى : موسوعة ، مرجع سابق ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣ .

ولأجل مواجهة التجاوز الملكي لليهود فقد صدر قرار في مجمع كنسى في سامورة عام ١٣١٣ بناء على قرار سابق في مجمع فينا ، يقضى بمعاقبة اليهود بألا يكون لهم وظائف أو مزايا يمنحها لهم الملوك أو الأمراء ، وألا يمارسوا مهنة الطب على المسيحيين مهما كانت درجة مهارتهم ، وألا يلجأوا إلى ممارسة الربا مع المسيحيين ^(١) .

وعلى الرغم من صدور تلك القرارات ضد اليهود إلا أنها لم تصل إلى حيز التنفيذ بسبب حماية الملوك لليهود ^(٢) .

وقد بلغت قوة المنتصرين اليهود إلى حد الوقوف ضد مصالح اليهود الآخرين في سبيل مصالح البلاط الملكي بهدف إظهار صدقهم لهم ، حيث عملوا خدما ورؤساء للخدم لدى الملوك والأمراء والأساقفة ورؤساء الأديرة المسيحية حتى عام ١٤٩٢م ، وكان لليهود دورهم في تمويل القوات والقيام بدور الوسيط الدبلوماسي والمالي في البلاد إلى جانب دورهم الاستخباري وأمور التجسس لصالح الملوك والحكام المسيحيين ^(٣) .

وكان اليهود يمثلون الوسيلة السريعة للحصول على الأموال للملوك للمسيحيين ، وقد ازداد الاحتياج لليهود في القرن الرابع عشر حيث قام إنريكي الثاني بمطالبة النواب في برغش عام ١٣٦٧ حينما اعترضوا على منح اليهود مزايا يجب ان تكون للمسيحي فقال : "فيما يتعلق بما قلتم ... بأننا أجرنا لليهود الديوان والمتأخرات الواجبة على قرى ومدن مملكتنا ، وأننا لم نتحدث عما يدين به لنا من يقومون بالتأجير ، والتحصيل ، وأن الأمور لو ظلت كذلك فسوف يكون هناك عصيان ، وسوف يقبل الناس على هذه الأرض ، وأن علينا القيام بتأجير كل ما سبق للمسيحيين ... نقول ردًا على هذا حقًا لقد أجرنا ذلك لليهود ؛ لأننا لم نجد أحدًا آخر يتولى المهمة ، وأجرنا لهم ذلك شريطة ألا يضايقوا أحدًا .. فإذا ما أراد أحد المسيحيين ، فإن العائد سوف يكون أقل بكثير مما لو أجرنا لليهود" ^(٤) .

ومن التصريح السابق يظهر لنا مدى حماية الملوك لليهود حفاظًا على مصالحهم .

(١) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٩ .

(٢) نفسه ، ص ٥٨٠ .

(٣) نفسه ، ص ٥٧١ .

(٤) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

القوة الاقتصادية لليهود في إسبانيا والبرتغال :

منذ القرون الأولى للميلاد اشتهر اليهود بأمور الصرافة وامتلاك البنوك وضرب النقود فعلي سبيل المثال عرف برسكوس اليهودي ضارب النقود في القرن السادس الميلادي وأيضاً جدعون اليهودي في القرن العاشر، وسيمون وسلمان في القرن الثاني عشر وغيرهم ^(١) وقد ظل هذا الأمر حتى أصبح القرنين ١٧، ١٨ العصر الذهبي لضاربي النقود اليهود، وكان الملك فرديريك ملك بروسيا يتعامل معهم رغم معاداته للسامية واليهود ^(٢).

وقد أدى ذلك إلى ارتفاع قيمة ضاربي النقود اليهود إلى مراكز رجال البلاط الملكي وكانوا يتصلون بالحكام ببساطة ، وكانت أبواب القصور مفتوحة لهم في كل وقت رغم الجيتو الذي كانوا يعيشون فيه ؛ وذلك لكونهم أصحاب نفوذ تجاري واجتماعي واقتصادي، وكانوا يمتلكون قصوراً تضاهي قصور النبلاء المسيحيين، الأمر الذي أدى إلى احتجاج الطبقات المسيحية الشعبية الفقيرة حيث بدأت تتآمر ضدهم بسبب الغنى والثروة التي يتمتعون بها ^(٣).

ويمكن القول أن النشاط الاقتصادي في القرون الوسطى كان هو العصب المحرك لليهود، فاليهود بارعون في التصرف بالأموال وتحقيق الربح السريع ، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً في الأندلس حيث كان منهم ، الصاغة والصيارفة وأصحاب البيوت المالية والتجارين، وكان رجال المال من اليهود لديهم صلاحية ضرب النقود في القرون الوسطى ، ويؤلفون طائفة لها أهمية تفوق أهمية مرتبة النبلاء ، حتى أصبحوا في مركز رجال البلاط ، ويحق لهم الاتصال بالحكام بحرية تفوق معظم النبلاء ، وكان هؤلاء التجار اليهود لهم أعمال تجارية ضخمة في البحر المتوسط ، فكانوا يجوبون الشرق والغرب ، بحراً وبراً ، لجلب كل أنواع التجارة ، ويتكلمون العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية ^(٤).

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

(٣) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٣٤ ، ٤٢ .

(٤) نفسه ، ص ٣٧ - ٣٩ .

وكان تحصيل الضرائب وتزويد المال بالمال تجارة رابحة بين اليهود في ذلك الوقت . فتميز تعاملهم المالى مع الآخرين بالربا على الرغم من تحريم هذا التعامل في نصوص العهد القديم^(١) حيث مارس اليهود الربا على مستوى كبير ، حتى إن أفراد الشعب اضطروا لبيع ممتلكاتهم لأجل سداد الربا ، وقد أدت هذه الأمور إلى تفاقم كراهية الشعب المسيحى لليهود^(٢) .

ويلاحظ أن نشاطات اليهود في الاقتصاد في ميادين التجارة والإقراض بالربا لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا ؛ حيث اقترن تاريخ اليهود الاقتصادى طوال مسيرتهم بالربا . مما سهل للمتصرين اليهود الوصول إلى منصب البابوية عن طريق تحكمهم في مصادر الثروة حيث خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات .

وكان أساس اقتصاد إسبانيا قائماً على الاقتصاد اليهودى ، حيث تغلغل اليهود في المرافق التجارية والصناعية ، واستطاعوا أن يكونوا مركزاً مهماً من مراكز الثروة في البلاد . وكان لليهود قدرة على الإنتاج تنعدم لدى المسيحى الإسبانى في أمور المال ، وكان الملوك ورجال الدين المسيحى يوكلون لليهود مهمة جباية الضرائب ، واستثمار الأموال ، كما أولوهم مسئولية تولى الخزانة الملكية ، وكان لليهود دور كبير في تمويل القوات المحاربة وقت حرب الاسترداد وذلك من خلال براعتهم في تجارة الأسلحة^(٣) ، ولم يكن المسيحى في ذلك الوقت يعنيه سوى السيادة على الأرض؛ لذا فقد ترك أمور التجارة والصناعة لليهود لمهارتهم في القيام بدور الوسيط من أجل تحصيل الأموال للملك أو لعلية القوم من عامة الشعب^(٤) .

ونضرب بعض الأمثلة على محاباة الملوك لليهود بهدف المنفعة التى يجنونها من وراء ذلك :

(١) ورد في سفر الأمثال : ٢٨ / ٨ ، [المكثّر ماله بالربا والمرايحة ، فلمن يرحم الفقراء بجمعه] ، وجاء في سفر حزقيال : ١٨ / ٨ ، [ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرايحة وكف يده عن الجور وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان] .

(٢) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٩ .

(٣) حرب الاسترداد هى التى قام بها المسيحيون من أجل القضاء على الحكم الإسلامى في البلاد وإعادةه إلى الحكم المسيحى الكاثوليكي .

(٤) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧١ .

• كانت ديون رجال الدين اليهودى مرتفعة للدرجة التي جعلت المقترضين من رجال الدين يلجأون إلى البابا لسد ديونهم من خلال صكوك الغفران التي تعفيهم من رد الديون لأصحابها ونتيجة لذلك ، أصدر الملك قراراً وتهديداً إلى رجال الدين بمنع إلغاء الديون بقوله:

"أنتم تعرفون أن اليهود وما معهم لي، فأني غني يلحق ضرراً باليهود سوف يقوم الملك بمعاقبة رجال الدين بدفع ضعف المقابل" ^(١).

• وفي عام ١٣٩٠م وصلت التجاوزات الملكية حداً كبيراً في سبيل المحافظة على الوجود اليهودى من أجل مصالحهم المرتبطة بهم ، ومن ناحية أخرى كان اليهود على استعداد للتضحية بكل شيء في سبيل البقاء ، فكانت المصالح متبادلة بين الطرفين ، وقد وصل الأمر باليهود الذين حرصوا على مصالحهم في البلاد أن قاموا بخيانة يهود منهم ، حتى قيل إن بعض هؤلاء المنتصرين اليهود كانوا السبب في إنشاء محاكم التفتيش ، بل كان منهم أعضاء رئيسيون في تلك المحاكم ^(٢).

• وفي عام ١٤٨٨ منح الملوك الكاثوليك تصريحاً لصموئيل أبي العافية بأداء خدمات للمساعدة في حرب الاسترداد التي دارت في غرناطة ، وكان كل عضو في البيع اليهودية يسهم بمبلغ من المال لصالح خزانة الملك ، وكانت إسهامات البيع اليهودية في قشتالة خلال حكم ألفونسو العاشر تصل إلى ستة آلاف مرابطي (وحدة عملة) ^(٣) ومن هنا نجد سر حماية الملوك الكاثوليك لليهود .

• كانت البيع اليهودية هي المصدر الأساسي للثروة ؛ ولأجل هذا فقد حظى اليهود بحماية الملوك حتى صدور قرار طردهم ؛ فكان ألفونسو الثالث ملك أرغون يأمر قضاة الإقطاعات التابعين له أن يتصرفوا مع اليهود "بحكمة" وذلك في عام ١٣٢٨م ، وكان الملوك السابقون متسامحين مع اليهود إلى حد كبير لأجل المصلحة والمنفعة التي تعود عليهم من اليهودى، وكانت كنيسة روما تتسامح معهم لكونهم لخدم الملوك وجباة الضرائب لديهم ^(٤).

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠٥ .

(٣) نفسه ، ص ٥٧٤ .

(٤) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥ .

• كان اليهود على علاقات تجارية وطيدة بشمال أفريقيا ، التي كانت بمثابة محطة انتقال من بلاد الشرق إلى إسبانيا نظرًا للتقارب الجغرافي بين إسبانيا والشمال الإفريقي فأصبح اليهود وسطاء تجاريين بينهما، ومن المعروف أن عددًا من يهود إسبانيا عاشوا في القيروان لأغراض تجارية، وقد أدى هذا التقارب إلى إتمام صفقات تجارية بين تلك المناطق في وقت قياسي ، كما كانت الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا وسيطًا بين يهود إسبانيا والجماعات في العراق^(١).

• قام الملك "ألفونسو الخامس" بإعادة بناء الكنيس اليهودي في سرقسطة عام ١٤١٧م، لأجل إرضاء اليهود .

• وفي عام ١٤١٨م ، قام الملك فرناندو بتأنيب رئيس دير "سيو" في "سرقسطة" لمعاملته القاسية لليهود قاتلاً : "إنهم كثروا وميراثنا" وكان الملوك الأسبان يحاولون كبح مشاعر العداء تجاه اليهود من قبل الشعب المسيحي ورجال الدين^(٢).

ونتيجة لحماية الملوك فقد بلغت قوة اليهود المالية حدًا كبيرًا للدرجة التي جعلتهم يهددون الملك فرناندو الثالث في بداية القرن الثالث عشر بمغادرة البلاد إذا ما أجبروا على حمل "رمز" يميزهم عن المسيحيين غيرهم ، وقد أذعن الملك لطلبهم، وطلب من البابا ، العفو عنهم حتى لا يتم تنفيذ القرار ، معربًا أن ذلك "من أجل مصلحة الشعب والكنيسة والملك"^(٣).

• استطاع اليهود القيام بأعمال التجسس لصالح الدول التي يقيمون فيها وكان لديهم القدرة على توصيل المعلومات بسرعة غير متوفرة عند غيرهم ، وذلك من خلال حلقة الاتصال اليهودية بين يهود المارانوس المنتشرين في أوروبا الغربية والدولة العثمانية وإسبانيا والبرتغال^(٤).

(١) أبرمسون، ر"ה - ש' أبرمسون، פירוש רבנו חננאל לתלמוד، ירושלים תשנ"ה. עמ' ٧٨-٧٩ و 'א' אשתור، קורות היהודים בספרד המוסלמית، ירושלים ١٩٦٦، עמ' ٨٧ و 'מ' בן-ששון، צמיחת הקהילה היהודית בארצות האסלאם، ירושלים תשנ"ו. עמ' ٣٨-٣٥، ٧٤-٧٨، ٢٢٩-٢٢٨، ٢٩٢، والجماعات "גאונים" ومفردها جاءون גאון لقب يطلق على رؤساء المدارس الدينية (www.wikipedia.org).

(٢) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٦ .

(٣) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٨ .

(٤) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

وتوجد حالات عديدة قام بها يهود المارانوس بالتجسس لصالح الدولتين الأسبانية والبرتغالية^(١)

ويظهر مدى تفنن اليهود في خلق مكانة مرموقة لأفرادهم داخل الحكومات، واستخدامهم للمال والثروة لتثبيت أقدامهم ، ليس في المجتمع فقط ، وإنما داخل البلاط الملكي ، وبين الأسر الحاكمة متحطين كافة الحواجز ، حتى إن القوانين التي كانت تصدر ضدهم من أجل تقليص دورهم ، كانت دائماً تنهشم على جدار المال والثروة اليهودية .

وقد كونت الجماعات اليهودية في هذه المرحلة شبكة علاقات تجارية على مستويين: دولي متقدم، ومحلي بدائي . فكان كبار الممولين اليهود على اتصال تجارى قوى بالدول المختلفة، وكانوا يسدون بين احتياجات الأمراء للأموال وحاجات الجيوش للتمويل. وكان اليهود يقومون بتدبير المعادن النفيسة وأي كمية من الذهب يريدونها الإمبراطور أو الأمير، ويعدون له التمويل اللازم للحملة العسكرية ، وذلك في أسرع وقت ممكن رغم ظروف الحرب .

وكان يهود المارانوس يرون أنهم يملكون ما يقدمونه للدول الغربية على الصعيد التجاري والمالي العالمي، ولهذا استمروا في التخفي حتى يستفيدوا من الفرص الاقتصادية المتاحة أمامهم، إذ كان قهودهم يعني فقداً لهم إياها. ولذا نجد أن كثيراً من المارانوس حرصوا على البقاء في شبه جزيرة أيبيريا بحثاً عن الفرصة الاقتصادية، وحفاظاً على أملاكهم من المصادرة، مؤثرين ذلك على الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها .

كما أن كثيراً من يهود المارانوس الذين هاجروا إلى دول جديدة استمروا في على علاقات مع المؤسسات التجارية في إسبانيا والبرتغال، ومع أعضاء أسرهم الذين تنصروا بالفعل. وكان الحكام الأسبان والبرتغاليون يستفيدون من خبراتهم واتصالاتهم الدولية، وينفوذهم ورؤسائهم، رغم اضطهاد الكنيسة والشعب .

هذا وقد لعب المارانوس دوراً مهماً وفعالاً في تأسيس الشركات التجارية والاستيطانية الكبرى، مثل شركة الهند الشرقية وشركة الهند الغربية الهولنديتين، وساهموا في تأسيس شركات منافسة أسسها البرتغاليون ليخرجوا الهولنديين من البرازيل. كما أسس المارانوس ،

(١) المرجع نفسه ، ص ١١٥ .

بما لديهم من خبرة مالية، شركات تأمين والعديد من المصارف، حيث كانوا ذوي شهرة في التعامل مع بورصات الأوراق المالية. وأسسوا مصانع للصابون والأدوية، وساهموا في صناعة السلاح وبناء السفن. واحتكر المارانوس التجارة الدولية في سلع مثل المرجان والسكر والأحجار النفيسة، كما اشتغلوا بتجارة الرقيق بسبب وجود أعداد منهم في أوروبا والعالم الجديد ومستعمرات البرتغال في إفريقيا التي كانت تعد مصدراً رئيساً للعبيد^(١).

ويوجد عاملان أساسيان ساعدا على تبوء المارانوس هذه المكانة المالية الضخمة في إسبانيا والبرتغال وهما أن المارانوس كونوا أول شبكة تجارية عالمية وأول نظام ائتماني في العصر الحديث كان يربط بين معظم أطراف العالمين الإسلامي والمسيحي بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي. وامتد نشاطهم إلى العالم الجديد، حيث ارتبطوا بكثير من المشروعات التجارية للاستعمار الغربي. كما تزامن انتشارهم مع بداية علمنة المجتمع الغربي وظهور الحكومات المطلقة التي كانت تأخذ بالمنفعة والولاء لها، وليس بالانتماء الديني معياراً للحكم على الأفراد^(٢).

وتجدر الملاحظة أن التجارة التي اشتغل بها المارانوس كانت التجارة الدولية، وأن الأعمال المصرفية التي قاموا بها كانت أعمالاً مصرفية متقدمة.

كذلك اشتهر اليهود في إسبانيا بممارستهم للطب وكانوا منتشرين في البلاط الملكي، وكان المسيحيون - بدءاً من الملك وحتى الطبقة الدنيا - يلجأون إلى هؤلاء الأطباء اليهود لعلاجهم، على الرغم من أن القوانين في ذلك الوقت كانت تمنع المسيحيين من استخدام اليهود كأطباء لهم، إلا أن المشرعين للقوانين أنفسهم وعامة الشعب لم يتمكنوا من الاستغناء عن خدمات الأطباء اليهود^(٣) حيث اعتاد الملوك الأسبان أن يكون لديهم أطباء يهود يطلق عليه الطبيب الخاص ومنهم "حاييم اللاوي" طبيب بدرو أسقف طليطلة ١٣٨٩، "وسالمون بيتون" طبيب الملكة إيزابيلا ١٤٧٦، "وساماي لوبيل" طبيب إنريكي الرابع ١٤٥٦ - ١٤٦٥، وكان يوجد في أرغن ٧٧ طبيباً يهودياً في القرن الرابع عشر و٥٥ طبيباً في قشتالة.

(١) المسيرى، اليد الخفية، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢) المسيرى، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) كاسترو أميركو، مرجع سابق، ص ٥٦٧، ٥٦٨.

واشتهرت عائلة البارودي كاسترو بمزاولة الطب في القرنين الخامس عشر والسادس وكان موسى ابن ميمون أشهر أطباء القرون الوسطى وكان طبيب صلاح الدين الأيوبي^(١). ولم تستطع القوانين المسيحية أن تمنع اليهود من مزاولة مهنة الطب حيث ظلت تمارسه لقرون عديدة — على كافة المستويات الملكية والشعبية المسيحية .

القوة الاجتماعية لليهود في إسبانيا :

على الرغم من الرفض الشعبي المسيحي للطوائف اليهودية ، إلا أن اليهود مثلوا قوة لا يستهان بها داخل المجتمع الإسباني ، حتى قيل إنهم كانوا يمثلون دولة داخل دولة . وقد نبعت تلك القوة من تصرفات الملوك والحكام ورجال البلاط الذين منحوهم حرية ممارسة الأعمال الحرفية واليدوية التي كانوا يتقنونها ، كما منحوهم المناصب والوظائف الإدارية بالدولة ، فكان منهم صناع الأحذية ، والحدادون ، والنجارون ، والخياطون ، وتجار الذهب ، وتجار العملات ، إلى جانب الأطباء والمعالجين الذين كانت لهم أهمية خاصة في المجتمع ، ومن هنا جاء تغلغل اليهود إلى داخل البنية الاجتماعية للدولة^(٢) .

وفي القرن الرابع عشر كان اليهود يشغلون مناصب مهمة في القضاء ، وكانت لهم محاكمهم المستقلة ، بالرغم من معارضة الشعب لها وكان الملوك يلقبون بعض اليهود بـ "السيد" وهي أعلى الدرجات الاجتماعية بين النبلاء^(٣) .

ونستطيع أن نتحقق من مدى ثقل اليهود في المجتمع الإسباني المسيحي وتغلغلهم فيه من خلال الممارسات اليهودية التي حدثت في المجتمع الإسباني طيلة أربعة قرون ومن بينها :

- كان اليهود يرتدون ملابس مماثلة للمسيحيين .
- وكانوا يضاجعون النساء المسيحيات ، ويرتادون حفلاتهم .
- وكانوا يتدخلون في مراسم عقود الزواج المسيحية .

(١) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٨٥ .

(٣) نفسه ، ص ٥٩٤ .

- في ممارسات الجنازات المسيحية ، كان اليهود يكلفون بممارسة النواح فيها ويمنحون مقابلها خمسة عشر مرابطاً (عملة أسبانية) .
- تدخل اليهود في أمور التعميد المسيحي ، فكان منهم من يتولى دور الأب الاسمي في التعميد المسيحي .
- كان الملوك والنبلاء الاسبان يعهدون إلى اليهود بمهمة تربية أبنائهم تربية علمية وأدبية^(١) .

وكان انتشار وجود بابا يهودي من المسائل البارزة في إسبانيا فترة العصور الوسطى. ومن أبرز الأسر التي كان هدفها استلام أحد أفرادها منصب البابا المسؤول عن جميع كنائس العالم المسيحي أسرة بيرلوني في روما وهم الذين اختاروا التحدث باللغة اللاتينية من قبيل إثبات النية الصادقة في التحول للمسيحية^(٢) . وكان كل من البابا غريغوري السادس والسابع عملاقين في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى ، وكانا فردين من أسرة يهودية تحولت إلى المسيحية من أسرة بيرلوني^(٣) .

ويطلق بعض المؤرخين على عائلة بيرلوني "عائلة روتشيلد القرون الوسطى" ؛ وذلك لثرائها وأهميتها التي فاقت مرتبة النبلاء بما يمتلكون من مال ، إلى جانب إشرافهم على ضرب النقود وعمليات التعدين في مناجم الذهب والفضة ، لذا كان الملوك وكبار رجال الدولة يلجأون إلى التعامل مع العائلات اليهودية الذين اشتهروا كعمولين وضاربي نقود^(٤) . ومن أهم الشخصيات اليهودية التي اتخذت منصب البابوية هم إيونوس جراتيانوسي (غريغوري السادس ١٠٤٥ — ١٠٤٦) وهيلد براند (غريغوري السابع ١٠٧٦ — ١٠٨٥) وبطرس بيرلوني (أناسولت الثاني ١١٣٠ — ١١٣٨) وقد أسهم ثلاثتهم في نمو الكنيسة ، وثلاثتهم ينتسبون إلى أسرة بيرلوني اليهودي^(٥) .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨ .

(٢) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩ .

(٤) نفسه ، ص ٣٦ .

(٥) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

كما خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات ^(١) واشتهرت مهنة الطب وانتشرت انتشاراً كبيراً في المجتمع الإسباني فكان منهم أطباء شخصيين للملوك وخازنوا مكتباتهم، وعلماء يسدون النصح ويبدون الآراء في كثير من الأمور ^(٢). وقد لاقى هذا التسامح الملكي تجاه اليهود احتجاج الأوساط الشعبية المسيحية تجاه ذلك الاستعراف اليهودي، سواء على الجانب المالي أو السيادي المتحكم في المناصب على حساب الشعب.

ونتيجة لذلك صدرت عدة قوانين ضدهم، لكنها لم تدخل إلى حيز التنفيذ، فقد صدر قانون يمنع تلقى أية أدوية يقوم اليهود بصناعتها، غير أن اليهود ظلوا يصنعونها، وقانون آخر يحرم عمل اليهود خدماً أو خادماً أو رعاة أو بستانيين للمسيحيين، وقد ظل اليهود يعملون خدماً ورؤساء خدم في البلاط الملكي.

كما حرم القانون المسيحي عليهم ارتياد الحفلات أو التدخل في عقود الزواج المسيحية أو الجنائز الخاصة بهم، وكذلك اعتلاء مكانة الآباء الاسمين أو الأمهات للمسيحيين في التعميد، كما لم يسمح لهم بممارسة مهن جمع الضرائب أو الاستئجار أو جمع الأموال الملكية أو الخاصة بالسادة، أو أن يكونوا من متداولي الأموال، أو يكون لهم قضاء خاص بهم، سواء في المحاكم المدنية أو التي تبت في الجرائم، كما حرموا عليهم زيارة المرضى من المسيحيين، وكذلك منع تداول أية أدوية أو أى نوع من الشراب اليهودي، وكذلك منع الاستحمام في نفس حمامات المسيحيين العامة، ومنع إرسال هدايا للمسيحيين من الحلوى أو التوابل أو الخبز المطبوخ أو الطيور المذبوحة، كما لم يسمح لليهودي بإطلاق لقب السيد على نفسه سواء كتابة أو كلاماً، وكذلك منعوا من ممارسة مهنة البيطرة، ولا مهن الحدادة أو صناعة الأحذية، أو الخياطة والجزارة والنسيج.. ومنعوا كذلك من جلب البضائع بما فيها الزيت والعسل والأرز ^(٣). وعلى الرغم من صدور تلك القوانين، إلا أنها لم تكن فاعلة وظل اليهود يمارسون حياتهم في المجتمع الإسباني بجرأة فائقة وبشكل طبيعي.

(١) المرجع نفسه، ص ٦٣.

(٢) نفسه، ص ٦٣، ٦٤.

(٣) كاسترو: أميركو، مرجع سابق، ٥٨٦، ٥٨٧.

وكانت العلاقات الجنسية شائعة لدرجة أن علماء اليهود في القرن الخامس عشر فسروا سبب طرد اليهود من إسبانيا عام (١٤٩٢م) بقولهم : "إن اليهود الاسبان أخذوا النساء من الأمم إلى بيوتهم وتسببوا في حملهن ، وهكذا أصبح أطفالهم من الأمم ، ثم أصبحوا فيما بعد قتلة مجرمين اشتركوا في قتل آبائهم"^(١).

ونذكر هنا قصة امرأة يهودية من بلدة "كوكا" كانت على علاقة حب بمسيحي وذلك في عام ١٣١٩م ، حيث حملت تلك المرأة من المسيحي وتنازلت له عن بعض أملاكها فقام المسيحيون بعرض الأمر على السيد "خوان مانويل" فأشار بصلاحيه الحكمة اليهودية للبت في هذا الأمر ، وبعد أن وضعت المرأة توأمين مات أحدهما ، وقام المسيحيون بتعميد الآخر ، ولم يشغل الخاخام باله بالاثم الذي ارتكبه المرأة وإنما الفضيحة التي تعرض لها اليهود فقال للخاخام أشر الطليطي :

" ما الذى نفعله حتى نظهر أما أعين الناس ونحن نطبق قوانين التوراة ... ؟ وتحدث كافة القرى المحيطة بكوكا عن المسألة وأخذت الألسنة تلوك حكاية المرأة ، وبالتالي الطعن والتقليل من شأن ديننا ... "

فأقترح الخاخام الحكم عليها - بجدع أنفها حتى يزول عنها الجمال الذى يشد حبيبها إليها .

ونلاحظ مما ورد شعور الخاخام بالقلق إزاء انتشار الفضيحة فكان هذا كل همه وليس الإثم الذى ارتكبه الجميلة اليهودية ^(٢) .

كما نلاحظ ان الخاخام اليهودى الذى أصدر حكمه لم يعر اهتماماً بالجزاء المنصوص عليه في التوراة في هذه الحالة وهو الرجم وهو ما نصت عليه التوراة في سفر التثنية ^(٣) .

(1) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٩٧ .

(3) النص المذكور في التوراة هو : "إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة رجل يقتل الاثنين الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتدفع الشر من إسرائيل" إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدتها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجعتهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه اذل امرأة صاحبه فتدفع الشر من وسطك" ، سفر التثنية ٢٢ / ٢٣ - ٢٤ .

وعلى جانب آخر كان محرماً على المرأة المسيحية طبقاً للقانون المسيحي دخول الأماكن التي يعيش فيها اليهود ليلاً أو نهاراً ، ويتم إدانتها إذا ضاجعت يهودياً ؛ فتعاقب بفقدان نصف أملاكها في المرة الأولى ، وفي الثانية تفقد كل مالها وتسلمه لوالديها ، وإذا عادت مرة أخرى فإنه يحكم عليها بالإعدام ، أما إذا كانت متزوجة فللزواج أن يعاقبها كما يشاء ، إما بقتلها ، أو إطلاق سراحها . وعلى الرغم من صدور الأحكام والقوانين ضد اليهود الذين يضاجعون نساءً مسيحيات ، إلا أن اليهود ظلوا يضاجعون المسيحيات في عدد من البلدان مثل نيبلا وأشبيلية ، مما يدل على أن القرارات الصادرة ضدهم لم تكن نافذة ^(١) .

ويلاحظ أن ردود الفعل - تجاه التنصر اليهودي - بين الحكام من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، كانت متعارضة حيث غلب على الحكام التخلي عن الصرامة في تنفيذ القرارات المضادة للمارانوس ، بينما ظهر تمسك كبير بالعداء هؤلاء المنتصرين من الشعب والكنيسة .

(١) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص ٦٥٥ .

المبحث الثاني

ردود الأفعال الرسمية والشعبية

تجاه المنتصرين اليهود

ظن اليهود أن المسيحيين سوف يتقبلون تنصرهم واعتناقهم دينهم بالترحاب ، لكن الأمر لم يكن كذلك ، فإن تغيير العقيدة إلى عقيدة السلطة الرسمية في ذلك الوقت (المسيحية) ، كان يسمح بدخول عناصر المنتصرين للحكم . ولأجل هذا فقد رأى المسيحيون الأصليون أن المنتصرين منافسون لهم في المناصب السلطوية ؛ لذلك عمل الشعب المسيحي على عزل المنتصرين اليهود والهبوط بكرامتهم ، ومنع الامتيازات التي ترفعهم عليهم ؛ حيث أطلقوا عليهم ، المارانوس اليهود أو الخنازير ^(١) .

وانقسم التنصر اليهودي إلى نوعين : تنصر جاء طوعية بسبب تدهور الحالة الروحية لدى أعضاء الجماعات اليهودية ، نتيجة لظهور وانتشار الثقافة العقلانية الممثلة في فلسفة "ابن رشد" ، واندماج الجماعة اليهودية فيها ، والتي كان لها تأثيرها على إيمان النخبة الدينية اليهودية التي افتقدت هويتها ، إضافة إلى ارتباط المصالح اليهودية بالغالبية المسيحية ، والرغبة في اعتلاء مناصب سياسية أو دنيوية ؛ لذا كان تنصر هؤلاء تنصراً فعلياً ، حفاظاً على مصالحهم ^(٢) .

والنوع الآخر : تنصر اضطراري من أجل البقاء ، مع إبطان اليهودية ، فأصبحوا منتصرين في الظاهر ، يهوداً في الباطن ، قسم منهم عاش في إسبانيا ، والقسم الآخر قرر اللجوء إلى البرتغال التي منحتهم حق اللجوء المؤقت نظير ضريبة يقدمونها ^(٣) . ومن هنا ظهرت يهودية ذات أنساق كاثوليكية ، مثلت نوعاً من الازدواجية لدى المسيحي الذي وقف بين خيارين ، الأول يتعلق بمدي قبوله لليهودي قاتل المسيح من ناحية؛

(١) سيכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) עימות בין מוסלמים לנוצרים .

www.tzafonet.org.il . ٢٨-٣-٢٠٠٧ .

(2) JewishEncyclopedia .marano

(3) المرجع نفسه .

والآخر يتعلق بالوجود اليهودي المشروع ؛ لأن الكنيس اليهودى هو بيت الله طبقاً للتشريع من ناحية أخرى.

وفي الوقت نفسه ظهرت الازدواجية لدى اليهودى المنتصر الذى تحتم عليه إبراز المسيحية وإخفاء يهوديته .

وكان المسيحى الإسبانى يعتقد أنه من سلالة أعلى وعقيدة أفضل من اليهودى ، إلا أن حاجته لليهودى فى العمل اليدوى والتجارى والصناعى والعلمى ، إلى جانب حاجته للمزارعين والبايعين والحمالين - تلك المهن التى يتقنها اليهودى - هو ما جعله يتقبله نظراً لافتقاره لها ؛ ولذلك حاول استكمالها ملء هذا الفراغ ^(١) ومن ناحية أخرى فإنه كان ينظر إلى هذه الأعمال نظرة ازدراء ، باعتبارها أعمالاً غير إنسانية تبعد بالإنسان عن القيم الجوهرية لروحه ؛ إذ إن غاية المسيحى أن يكون شريفاً أو رجل دين ^(٢) .

الممارسات اليهودية المناهضة للمسيحية :

من الأمور التى تدعو للدهشة ، أنه على الرغم من الصراع الدائر - بين الملوك من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر - حول الممارسات اليهودية فى الدولة إلا أن رجال الدين المسيحى كانوا أنفسهم يطلبون من اليهود تحصيل الأعشار للكنيسة ^(٣) . وقد وصلت حاجة الملوك الكاثوليك الأسبان لليهود إلى الدرجة التى جعلتهم يتساحون مع اليهود الذين كانوا يطعنون فى الديانة المسيحية ، ففي عام ١٣٠٥م قام ثرى يهودى بالاستهزاء بالمسيح عيسى معلناً أن المسيحيين يقدسون "رجلاً" يعتقدون أنه "ابن الله" وهو ، "ابن سفاح" ، فصدر الحكم بسجنه ، ثم أطلق سراحه !!

وفي عام ١٣١٨ أنهم عدد من اليهود بسبهم الذات الإلهية، واتهام السيدة مريم العذراء فى عذريتها ، ودعوتها بالخاطئة ^(٤) وكذلك سبهم القديسين المسيحيين ، إلا أن الملوك تغاضوا عن الأحكام التى صدرت ضدهم ^(٥) !!

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٨٢ .

(٣) نفسه ، ص ٥٨٠ .

(٤) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٥٩٠ .

وعلى الرغم من قيام اليهود بارتكاب الانتهاكات الدينية ضد الشخصيات المسيحية المقدسة وقيامهم بغواية النساء ، والسرقه والقتل ، فإن ملوك إسبانيا ونبلاءها في القرن الخامس عشر وجدوا في اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، "الطبقة المميزة والضرورية لرفاهية البلاد" ، وأنهم "لا يشكلون خطراً على عقائدهم" ، ومن هنا يثبت مدى التباين الظاهر بين السياسة الملكية ومصلحتها التي كانت في المقام الأول وبين الشعب والكنيسة على جانب آخر .

وفي القرن الخامس عشر ظهر شكل جديد من القلاقل التي حدثت في الدولة على المستوى الديني ، ألا وهو اختلاط كثير من العائلات المسيحية بأفراد من أصول يهودية ، فظهر ما يعرف بمشكلة نقاء الدم أو "طهارة الدم" (טהרה דם) (١) ، حيث كان كثير من اليهود المنتصرين حتى القرن الخامس عشر لهم أنساب تابعة للعائلة المالكة المسيحية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، سواء كانوا ملوكاً أو نبلاءً ، فكانت لهم زيجات يهوديات ، وكان الملك فرناندو الكاثوليكي ترجع أصوله - من جهة أمه - إلى اليهودية (٢) . وقد أصبح الانتساب للسلاسل الرفيعة أمراً مشتركاً بين اليهود والمسيحيين ، الأمر الذي أدى باليهود ذوى الأصول الإسبانية الشعور بالتفوق وفي هذا الشأن يقول ماكس جرونباوم :

"إن من يحضر الصلاة في الكنيس اليهودي البرتغالي في أمستردام يلاحظ على الفور الفارق بين اليهود الإسبان واليهود الألمان ، فالجو المهيب والهادئ أثناء الصلاة يجعلها مختلفة عن البيع الألمانية الهولندية ، كما نجد العظمة الإسبانية في الكتب الإسبانية اليهودية المطبوعة في أمستردام ، ولازال العبريون من ذوى الأصول الإسبانية يحتفظون حتى اليوم بمشاعر التفوق ، وهذا ما لا يفهم إلا إذا أسندناه إلى الجو الذي سار قبل عام ١٤٩٢ م ، أى الاعتقاد في تسيد الفرد ، وهذا هو جوهر الروح القشتالية ، ويواصل اليهودي مشواره في الحياة وهو يرتبط حيويًا بمناهضيه منذ ما يقرب من ٤٥٠ عاماً "

(١) صدر في إسبانيا عام ١٥٦٦م قرار خاص بنقاء الدم الذي جعل من الأصول العرقية (لا الإيمان الديني) معياراً للتمييز ، فبعد أن كان التنقيب يتم عن ممارسون الطقوس اليهودية خفية ، أصبح التنقيب عن ذوى الأصول غير النقية .

وقد وصلت مسألة اختلاط الدماء بين اليهود والمسيحيين إلى حد المحاكم ، حيث عارضته بعض الطوائف المسيحية ، وخاصة ما يتعلق بالخدم والعبيد ، ومع هذا فإن الأحكام والفتاوى لم تستطع أن توقف العلاقات بين الرجال والنساء اليهود والمسيحيين^(١) . ويجدر بنا هنا ان نورد أقدم الوثائق التي تتحدث عن الطهارة العرقية لدى اليهود والتي جاء فيها :

" ليعرف كل من يرى هذه الرسالة التي تحمل توقيعى أن هنا بعض الشهود الذين مثلوا أمام الخاخام إسحاق رئيس الدائرة ، وأبلغوه بأمانة وإخلاص عن أناس كبار في السن ومن أسر محترمة ، ويرى الشهود أن أسرة الأخوين داود وعزرائيل هي أسرة نقية السلالة وليس عليها أية نقيصة، فداود وعزرائيل هما من الجديرين بالزواج بأشرف عائلات إسرائيل فلم يحدث أن سجل لهم أى اختلاط في الدماء سواء من فرع الأب أو الأم أو الأفرع الأخرى . توقيع : يعقوب عيساشا"

والسبب في هذا النص المتعلق بطهارة الدماء هو ما ردهه أحد الناس من أن أحد أصول هذين الشابين الأرستقراطيين كان من العبيد ، ولم يرض المتهمون بالقرار الصادر عن المحكمة المحلية فذهبوا إلى حاخامات أعلى ، ثم رفعت كل الأحكام والفتاوى إلى شلومو بن أدريست البرشلوني الذي أصدر حكمه التالي :

"عندما تلقيت رسالتكم وقرأتها أصبت بالذهول فالذى صدرت عنه هذه المسبة ، أيا كان وأيا كانت دوافعه ، قد ارتكب إثماً عظيماً ويستحق عقوبة أكبر من إراقة دمه ، فالقاتل السفاح لا يقتل إلا فردين أو ثلاثة أما هذا الآثم فقد سب ثلاثين أو أربعين فرداً ، فصوت الدم الأسرى ينادى ويتن وهو تحت الأرض، وكان على المحكمة الحاخامية أن تطرد الآثم من العقيدة كما أنى سأؤكد حكمها بتوقيعى "

وهذا النص هو أقدم نص يتحدث عن الطهارة العرقية في إسبانيا حيث يتضمن شهادة شهود وحاخامات يهود حضروا من أماكن مختلفة^(٢) .

(١) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٩٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

المبحث الثالث

محاكم التفتيش والتحول القسرى إلى المسيحية

سبق أن أوضحنا موقف الحكام والملوك الكاثوليك المتسامح تجاه اليهود الأسبان بغرض الاستفادة منهم في الأعمال المهنية والتجارية والمصرفية التي اضطلعوا بها ، وقد سار على هذا النهج، الملك "فرديناند الخامس" الكاثوليكي ملك "أرجون" الذى أحاط نفسه باليهود المنتصرين ، حيث مكنهم من شغل مناصب حساسة في بلاطه ، فكان عدد منهم أعضاء في المجلس الملكى ، وكان سكرتيه وقائد أسطوله البحرى ، من هؤلاء اليهود المنتصرين ، ومن جانب آخر، كانت زوجته "إيزابيلا" ^(١) محاطة بكثير من هؤلاء المارانوس اليهود ، حيث كان سكرتيها ومستشاروها منهم ، كما كان القس الذى تعترف أمامه من أصل يهودى ^(٢).

وقد استعان كل من فرناند وإيزابيلا بالمارانوس اليهود في تمويل حروب الملكية الكاثوليكية ضد المسلمين ، حتى نجحوا في طرد المسلمين من إسبانيا عام ١٤٩٢م ^(٣) . وكان كلما يحدث احتلال مسيحي لجزء من إسبانيا يبدأ الحكام المسيحيون في التفكير في تطهير إسبانيا من الأديان الأخرى ، وقد قويت هذه الفكرة عندما اتحدت مملكتا أرجون وقشتالة بزواج "فرديناند" ملك أرجون ، وإيزابيلا بنت ملك قشتالة في عام ١٤٦٩م ، حيث حرموا على اليهود والمسلمين السكن في حي واحد مع المسيحيين مدعين أن كلاً من المسيحيين والمسلمين يؤثرون بشكل سلبي على المسيحيين الأصليين ^(٤) .

وقد استمرت عمليات الفصل بين المسيحيين من جهة ، والمسلمين واليهود من جهة أخرى مدة عامين ؛ نظراً لأن السكان اليهود والمسلمين ، وجدوا صعوبة في الانتقال إلى أحياء جديدة وترك بيوتهم ومنازلهم الأصلية ^(٥) وقد حاول الملكان دمج اليهود المنتصرين

(١) كانت الملكة إيزابيلا كاثوليكية في كل شيء ، وكانت تجل البابا وتتصت له باهتمام وخشوع .

(٢) jewish encyclopedia

(٣) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(٤) المرجع السابق .

(٥) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)

الذين كان يشتبه في حقيقة تنصرهم ، إلا أنه بعد طرد المسلمين قررت إيزابيلا إنشاء محاكم التفتيش **איזאבילא פאפא** ^(١) والتخلص من اليهود أيضاً .

موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا :

كان الملك (فرديناند) وزوجته الملكة (إيزابيلا) اللذان حكما إسبانيا عام (١٤٩٢م=٨٩٨هـ) كاثوليكين شديدي التعصب للمسيحية ، وكانا يغضبان اليهود بسبب معاداةهم لعيسى (عليه السلام) حيث اعتبروه مرتدًا عابدًا للأوثان ، طبقًا لما ورد عنه في التلمود "أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار .. أتت به أمه من العسكرى (باندارا) عن طريق الخطيئة .

والعهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم اليهود القيام به . ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل كما أن قتل المسيحي كان من التعاليم المأمور بها في اليهودية .

ولهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهاية هؤلاء اليهود وأعمالهم التخريبية ضد المسيحية المتخفية تحت ستار العلم والفلسفة ، فطالبهم الملك بضرورة دخولهم في المسيحية . وفي (٣٠ مارس سنة ١٤٩٢م=٨٩٨هـ) وقع (فرديناند) و (إيزابيلا) مرسومًا ملكيًا يقضى بنفى اليهود ، وينص على أن جميع اليهود الموجودين في البلاد غير المعمدين - أيًا كانت أعمارهم أو أحوالهم - عليهم أن يتركوا إسبانيا في موعد أقصاه (٣١ يوليو ١٤٩٢م=٨٩٨هـ) ولا يسمح لهم بالعودة، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته الإعدام ، وعليهم أن يتخلصوا من أمتعتهم خلال هذه المدة ، ولهم أن يأخذوا معهم الأمتعة المنقولة وصكوك المعاملات دون النقد من ذهب وفضة .

وقد حاولت بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة دفع مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيزابيلا في سبيل سحب مرسومهما إلا أنهما رفضا طلبهم .

ولم يستطع كبار الشخصيات اليهودية أن يثنوا الملك والملكة عن قرارهما ، وإلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا ^(٢) .

(١) المسرى : موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ / جزء ٣ / باب ٣ .

(٢) النعيمي : أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٧م ،

في هذه الفترة قام بعض اليهود بحرق منازلهم ، وذلك لأخذ قيمة التأمين عليها ، وتنازل البعض الآخر عنها للمجلس البلدى للدولة ، وقام المسيحيون بتحويل المعابد اليهودية إلى كنائس ، ومدافن اليهود إلى مراعي .

وفي تلك الأثناء طالبت الملكة إيزابيلا بتكوين محكمة خاصة لحاكمية اليهود الذين تنصروا ، بينما كانوا يمارسون شعائرتهم اليهودية سرًا ، وثبت على أكثرهم قهمة خداع الكنيسة وممارسة المعتقدات الموسوية سرًا ، وكان الغرض من إنشاء المحكمة القضاء على الهرطقة في مهدها ، بحيث ينسى الجيل الثانى أو الثالث من اليهود المعمدين أصولهم باعتبارهم مسيحيين .

وصرح فرديناند أن اليهود عنفوا المتنصرين منهم ، وحاولوا أن يعيدوهم إلى يهوديتهم مرة أخرى ، ونتيجة لذلك ذابت ثروات اليهود ، وتنصر خمسون ألف يهودى ، وترك إسبانيا أكثر من مئة ألف منهم في موكب خروج طويل وكثيب^(١) .

ويصف شاهين مكاريوس أحوال اليهود في تلك الفترة بقوله : " سار المنفيون على متون الخيل أو الحمير أو على الأقدام . وناشد المسيحيون اليهود المنفيين ، أن يذعنوا للتعميد ، فرد عليهم الربانيون بأن أكدوا أن الله سيهديهم إلى أرض الميعاد ، آمليين أن يفتح الله لهم معبراً في البحر مثلما فعل لآبائهم في القديم مع موسى عليه السلام ، ولما انقشع عنهم هذا الوهم اضطروا لدفع أجور باهظة لنقلهم بالسفن إلى البلاد المهاجر إليها ، وفرت العواصف أسطولهم الذى كان يتألف من خمس وعشرين سفينة ، ومروا بكثير من المشاق ، حيث تحطمت سفينة تحمل خمسين يهودياً منهم بالقرب من صقلية ، وحكم عليهم بالسجن لمدة عامين ، ثم بيعوا رقيقاً وتعرض بعضهم للحرق وهم أحياء ، حتى قيل : إن ٢٨٠ منهم أحرقوا في سنة واحدة في إشبيلية^(٢) .

وتم طرد ٣٠٠٠٠٠ يهودى من إسبانيا ، فغادروا جميعهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا ، واتجهوا مهاجرين إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب وفرنسا والدولة العثمانية .

(١) النعمى : أحمد نورى ، اليهود والدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ١٤-٢٦ .

(٢) شاهين مكاريوس ، أربع كتب في الماسونية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، مرجع سابق ، القاهرة ، ١٩٩٤م ،

في ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهداف ملائمة للمهاجرين اليهود فهاجر إليها عدد كبير وصل إلى ثمانين ألفاً مما أفرغ ملك البرتغال جون الثاني الذي منحهم مهلة ثمانية أشهر على أن يرحلوا بعدها ، كما أصدر أمراً إلى جنوده بالقبض على أولادهم من سن الرابعة عشرة ، وإبقائهم في بلاده حتى ينشؤوا فيها نشأة مسيحية ، فكانت النساء يطرحن أولادهن في الآبار والأنهار حتى لا يُنصروا .

ولما تفشى بين اليهود مرض الطاعون ، وانتشر بين المسيحيين ، قام شعب البرتغال بالمطالبة بطرد اليهود من البلاد فوراً خوفاً من انتشار المرض في كل أرجاء البرتغال ، وقد يسر الملك لهم الخروج عن طريق السفن بأجور زهيدة ، ومات منهم كثيرون جوعاً .

وحينما انتهت مهلة الثمانية أشهر قام الملك "جون" ببيع باقي اليهود المهاجرين إلى البرتغال ببيع الرقيق ، وانتزع الأطفال دون الخامسة عشرة من آبائهم ، وأرسلهم إلى جزر القديس توماس لينشأوا النشأة المسيحية التي يريدها .

وسار الملك "إمانويل" في البرتغال على نهج سلفه ، حيث أمر جميع اليهود الموجودين بمملكته أن ينتصروا ، أو يخرجوا من البلاد فوراً وكان ذلك إذعائاً لطلب الملك فرناندو وإيزابيلا ، وذلك عام (١٤٩٦م = ٩٠٢هـ) كما قاموا بإجراءات قاسية لتنصيرهم ، مما أدى إلى وصف أحد الأساقفة لمشاهداته لبعض هذه الإجراءات بقوله :

"لقد رأيت أطفالاً كثيرين يُسحبون إلى حوض التعميد من شعورهم" .

وانتشرت المذابح بين اليهود عام (١٥٠٦م = ٩١٢هـ) وقتل فيها ألف يهودي ، ودفن مئات منهم أحياء ، وفقدت إسبانيا بعض المزايا بخروج التجار وأصحاب المهن والدارسين والأطباء والعلماء من اليهود والمسلمين .

وبناء على رغبة إيزابيلا ^(١) قام بابا الكاثوليك بتأسيس محاكم التفتيش في إسبانيا عام ١٤٧١م ، كجزء من الجهود الرامية إلى تقوية المسيحية وتوحيد مواطنيها ، وكانت هذه

(١) اعتبر الأندلسيون حكام محاكم التحقيق "حلفاء الشيطان" ، ولهذا رأوا في محكمة التحقيق مكاناً يحكمه "الشيطان" الذي اتخذ من الخديعة والتضليل مستشارين له" ولهذا قال أحد الأندلسيين لعمال محاكم التحقيق "جلالة الملكة الكاثوليكية إيزابيلا ليست موجودة في الجنة كما يقول المسيحيون بل في الدرك الأسفل من جهنم ، لأنها أسست هذه "المظلمة" ، ومعها "اليهود الذين يجب ألا يخرجوا منها بل أن يبقوا تحت رحي الطاحونة التي تطحن رؤوسهم" .

المحاكم عبارة عن دار قضاء للتفتيش ، مهمتها البحث عن حقيقة إيمان العناصر اليهودية التي تنصرت حديثاً وتعقبهم^(١) .

محاكم التفتيش في إسبانيا :

سبق أن ذكرنا آنفاً أن محاكم التفتيش تأسست في إسبانيا عام ١٤٧١ بأمر من بابا الكاثوليك بناء على رغبة الملكة إيزابيلا لتطهير البلاد من العناصر غير المسيحية . وكانت هذه المحاكم هي المكان الذي يقاضى فيه الأشخاص الذين اعترضوا على المسيحية بمصادرة ممتلكاتهم .

وترجع أسباب تأسيس هذه المحاكم إلى أمور ظاهرية أعلنتها الكنيسة ، بينما كانت لها أهداف أساسية أخرى خفية .

أما الأسباب الظاهرية فكما ذكرها مؤسسو تلك المحاكم فهي :

- التأكد من حقيقة تنصر العناصر المسلمة واليهودية الذين اعتنقوا المسيحية والتحقق من صدق ولائهم للدولة .

- تعقب السحرة والبحث عن الهرطقات الدينية بين المسيحيين نتيجة لانتشار الفلسفة اليونانية.

- حماية اليهود والمسلمين المنتصرين من تأثيرات إخوانهم السابقين في الدين^(٢) .

والقول بأن محاكم التفتيش أنشئت لأجل حماية نقاء العقيدة المسيحية ، أمر غير حقيقي ؛ وذلك لأنه لم يحدث أن حاول أحد من اليهود حتى القرن الخامس عشر أن يقضى على معالم الدين المسيحي القائم بل العكس ، فقد كان اليهود يتقربون إلى الحكام ورجال البلاط بهدف الحصول على الامتيازات المختلفة حتى أن كثير منهم تنصر ، وكان منهم أعداء لإخوانهم في الدين ، وكان اعتماد الأحكام في محاكم التفتيش قائماً على الوشاية ، وكانت أحكامها غاية في البشاعة ، فقد شهد عام ١٣٩١م هجوم الكاثوليك على المنتصرين في منازلهم فكانوا ينهبونهم ويسلبونهم ، ويأخذون كتبهم وأدواتهم ، ويجمعونها في ميدان عام ويشعلون فيها النار ، وأحياناً كان يؤتى باليهود مكبلين بالقيود ويلقون في النار^(٣) .

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" . ערך אינקוויזיציה, אוטו דה פה

(٢) كان اليهود المنتصرون يسمون المارانوس والمسلمون المنتصرون يسمون الموريسكيين أو المور.

(٣) ظا : حسن : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

أما السبب الحقيقي والخفي وراء إنشاء هذه المحاكم التفتيشية في إسبانيا والبرتغال فكان الحصول على الأموال ^(١) كما صرح بذلك الكاردينال "لوريرو بوسي" بقوله :

" عندما طلب القيصر "يوهان" من البابا "كليمنت السابع" تأسيس تلك المحاكم عام ١٥٢٨ م لم يكن سبب إقامتها الخوف والتقوى ومحبة الدين ، وإنما الرغبة في الحصول على أموال المنتصرين والاستيلاء على ثرواتهم " ^(٢) . وهو السر في اقتصار المسيحيين على اتمام الأغنياء اليهود المنتصرين.

وبناء عليه فقد صدر مرسوم ٣١ مارس عام ١٤٩٢ والذي يقضى بتخيير الجماعة اليهودية بين النفي أو التعميد ^(٣) . وكان أول رئيس لمحاكم التفتيش توماس دي توركيمادا وهو مسيحي من أصل يهودي ^(٤) . وكان الرهبان المتهودون هم الذين يمسون بزمام محاكم التفتيش ^(٥)

وكان مفتشو تلك المحاكم يعاقبون كل منتصر يشبه فيه أنه حاد عن طريق الصواب بسلوك أو نظم حياتية لا تتسق مع المسيحية ، ويعذبون المشتبه فيهم ويرهبونهم حتى لا يعودوا إلى عقيدتهم اليهودية الأصلية ^(٦) .

وقد تنوعت أسباب تلك الاضطهادات بين اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية :

فعلى المستوى الاجتماعي ، شعر الشعب الإسباني بالكراهية تجاه اليهود الذين تولوا مناصب رفيعة مهمة - كما رفض الشعب المسيحي تقبل ظاهرة المنتصرين الجدد واتهموهم بعدم الولاء للحكام المسيحيين والمسيحية الأصلية .

(١) كان مكان إقامة تلك المحاكم في منتصف المدينة ، حيث يتجمع أعداد غفيرة من البشر ، وكان معابها غالباً يوم الأحد والأعياد وأيام التوقف عن العمل ، والهدف هو تجمهر أعداد كثيرة من المواطنين ليقوموا بإرهابهم وتذكيرهم يوم الدينونة في السماء . **האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה، אוטו דה פה .**

(٢) **האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה، אוטו דה פה .**

(٣) **סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).**

(٤) **كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٩٩ .**

(٥) **المرجع نفسه ، ص ٦٠٣ .**

(٦) **סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).**

ومن الناحية السياسية لم يعد الحكام المسيحيون في حاجة بعد للعلوم التي أجادها بعض اليهود مثل الرياضيات واللغات وغيرها ؛ إذ إن هؤلاء الحكام كانوا يعتمدون على اليهود في تربية أولادهم تربية علمية وثقافية .

أما الجانب الاقتصادي فأثناء الطرد حُرِّم على اليهود أخذ ممتلكاتهم معهم ، مما أدى إلى إتاحة الفرصة للسلطات المسيحية والملوك لأخذ تلك الممتلكات ، ووضعها في الخزنة الملكية.

وتمثلت الأسباب الدينية لاضطهادهم في الخوف الذي انتاب الملوك من تأثير اليهود السليبي على المسيحيين ، وخصوصاً المسيحيين الجدد للعودة لليهودية ^(١) .

أنواع المحاكم:

كان هناك أربعة أنواع من المحاكم :

محاكم تفتيش عامة ، ومحاكم تفتيش خاصة ، ومحاكم تفتيش صغيرة ، ومحاكم تفتيش أحادية .

وكانت الإجراءات التي تتبع على النحو التالي :

في البداية يسير الدومينيكان أو حاملو الراية ، ثم يأتي بعدهم التائبون ، وبعدهم يأتي حاملو الصليب للفرقة بين النادمين على أخطائهم وبين المستمرين في عصيانهم ، ثم يأتي حاملو صور المتهمين الذين هربوا وتوايت المتهمين الذين ماتوا . ثم يأتي بعدهم الشرطة التابعة لحاكم التفتيش والكهنة الكبار معهم ، ثم يأتي بعدهم واحد أو اثنين من المواطنين الذين قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهوداً على تنفيذ الوصايا ، ثم يأتي في النهاية رجال الجيش.

وقبل أن تبدأ مراسم تنفيذ الأحكام كانوا يقومون بعدة إجراءات للإعداد لها : حيث يتم تغطية المذبح بغطاء أسود ، ويتم وضع كرسيين على المنصة أحدهما للمفتش الرئيسي ، والآخر للملك ، ويوجد صليب كبير على المنصة ، فإذا كان الصليب موجهًا ناحية المتهم ؛ فهذا يعني أنه سيلقى شفقة من القائمين بمحاكمته ، أما إذا كان الصليب موجهًا خلفه ؛ فمعنى هذا أنه سيحكم عليه بالموت . . وكانت الهيئة القضائية تقوم بجعل المواطنين — الذين

(١) سيكرام (اليهوديين) بسفر د بين آيسلام لنصارت).

قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهودًا على تنفيذ الوصايا — بأن يقسموا ، وبعد القسم كانوا يلقون عظة لإلهاب مشاعر الجماهير ، وكان الشرطي التابع للمحكمة يقرأ ما ارتكبه المتهم من خطايا ، وأحيانًا كانت تستمر القراءة لمدة يوم كامل ، وفي النهاية يتم إلقاء نص العقوبة الخاصة بالمتهم على الجماهير المستمعة والتي تقام في ميدان عام في يوم الأحد حتى يضمنوا جبهة أكبر عدد من المشاهدين رغبة في زيادة الإرهاب^(١).

أنواع العقوبات :

- ١ — عقوبة بالجلد .
 - ٢ — مصادرة الأموال والممتلكات .
 - ٣ — السجن لمدة محددة أو للأبد .
 - ٤ — الموت بالسيف أو بالخنق أو بالحرق .
- أما أنواع الخطاة فتشكلوا من :

- ١ — الخاطي الذي قاموا بتحذيره من العودة لليهودية ولم يتب .
- ٢ — الخاطي الذي تاب ثم عاد إلى عادته السيئة .
- ٣ — الخاطي المستمر في خطئه .
- ٤ — الخاطي الذي ينكر أنه أخطأ .

وبعد انتهاء الحكم كانوا يضربون المتهمين على صدورهم دلالة على انتهاء الحكم ، ويقوم أحد الشرطيين غير التابعين للمحاكم التفتيشية بتحمل المسؤولية عن المتهم ويكون المتهم تحت حمايته وعندما يتم إعلان حكم بإعدام متهم ما ، كانوا يصرحون بالقول الآتي: "بما أنك عدت لخطيئتك فسنقوم بإبعادك خارج الكنيسة ، ونرسلك إلى قضاء الشعب ، ونرجو منهم أن يخففوا العقوبة بقدر ما تستطيع أيديهم التخفيف، وأن يمنعوا سفك الدماء" وكان الشرطي الخاص يرسل المتهم للسجن ويتحفظون عليه هناك حتى وقت تنفيذ الحكم . وقد وصلت المعلومات الأولى عن محاكم التفتيش التي جرت لليهود في عام ١٢٨٨م من خلال أقوال رابي يعقوب بر يهودا و مائير بن ألياف وشلومو سمحا في تراتيل الغفران الخاصة بهم .

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה. صورة محاكم التفتيش في آخر الدراسة .

محاكم التفتيش في البرتغال :

عاش المارانوس اليهود في البرتغال في حرية أكثر من تلك التي كان عليه المارانوس الأسبان لأسباب سياسية ، فقد كان "مانويل الأول" يطمح في تحويل بلاده إلى قوة تجارية عالمية ، وذلك عام ١٤٩٥م ، ومن ثم فقد سمح لليهود بالإقامة بالبرتغال ومنحهم حرية دينية ، وحصانة من محاكم التفتيش لمدة عشرين عامًا^(١) ، وكان اليهود يمثلون في البرتغال نسبة ١٠% من سكانها ، وعاشوا فيها بشكل علني ؛ وكان يطلق عليهم "اليهود" أو "الأمّة" أو "رجال الأعمال" ، وأصبحوا عن طريق اتصالاتهم التجارية والمالية يمثلون قوة ضغط داخل البرتغال ، فكان لهم سفير خاص في روما ، قام بتقديم رشاوى استطاع من خلالها تأخير محاكم التفتيش في البرتغال^(٢) وقبل أن يقرر مانويل طرد اليهود البرتغاليين بناء على رغبة كل من الطبقات الشعبية والملوك الكاثوليك اجتهد في إبطال هذا القرار عن طريق الأمر بعدم البحث في سلوكيات اليهود طوال ٢١ عام ومعنى هذا تركهم في ممارسة عقيدتهم بحرية^(٣) . ولم يبدأ نشاط محاكم التفتيش אינקוויזיציה الرسمى في البرتغال إلا عام ١٥٣١ في عهد كليمنت السابع^(٤) .

وفي منتصف القرن السادس عشر ، وبالتحديد عام ١٥٦٦ صدر قانون نقاء الدم (טהרת הדם) على يد المشرع التركي سليمان القانوني ، وقد استخدمتها محاكم التفتيش بقسوة ضد اليهود المنتصرين في البرتغال ، وشكل هذا القانون خطورة في كشف الأصول العرقية لليهود للقضاء عليها^(٥) .

ممارسات محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود :

من الملاحظ أن الأحكام التي صدرت عن محاكم التفتيش ، لم تكن صادرة عن مسيحيين أصليين ، بل من اليهود أنفسهم الذين تنصروا..الذين حاولوا إظهار إخلاصهم للمسيحية

(١) האינציקلופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה.

(٢) المسيرى : عبدالوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨م ، ص ٨٣ .

(٣) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٦٣٤ .

(٤) האינציקلופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה

(٥) المرجع السابق ، דרך יוסף נשיא בונה מכריה

وغيرهم عليها ، كما كانت نتاجاً لتصفية حسابات قديمة بين هؤلاء المنتصرين اليهود وذوهم^(١) .

وقد انتشرت في ذلك الوقت الجاسوسية على أيدي رجال الدين اليهودي المنتصرين فظهر من بينهم، ما يعرف بـ "الواشى" الذى كانت مهمته التبليغ عن أهل ملته ، وكان هذا الواشى يحصل على عائد مالى مقابل تبليغه عن أخيه من أهل ملته ، وكان عدد منهم يشغلون مناصب الأسقفية والرهبنة ، ومنهم أعضاء في المجلس الأعلى للتفتيش . وكان لفظ الواشى maisin منتشرا لدرجة أنه أصبح ضمن مفردات اللغة الإسبانية^(٢) ويمكن أن نقول أن أعنف الضربات التى لحقت باليهود المنتصرين من جراء محاكم التفتيش كانت على أيدي الحاخامات اليهود الذين اعتنقوا المسيحية^(٣) .

ولم يكن الإبلاغ عن مظاهر الهرطقة واجبا قومياً ودينياً فحسب بل كان الامتناع عن ذلك يعد جريمة يزل بمرتكبها عقاب شديد . في الوقت الذى قدمت محاكم التحقيق إلى جانب التهديد بالعقاب حافزاً مادياً ، فكان الواشون يحصلون على مكافآت مالية تتناسب والأحكام التى تصدر على المتهمين في حال ثبوت التهم الموجهة إليهم .

وكانت المحاكم تصرف لبعض الواشين شهادات "حسن سلوك" يمكن اليهود من استخدامها ، إلى جانب شهادات نقاء الدم ، لشغل المناصب الرفيعة أو المهمة في الدولة . ومع الزمن تطورت الحاجة لحماية هؤلاء الواشين من انتقام ذوى التهم المدان فكانت المحاكم تحفظ سرية أسمائهم وعناوينهم ، وتمنع المتهم من مواجهة متهمه مهما كانت الظروف أو نوع الاتهام .

وكانت المحاكم تصدر لوائح تنظيمية سنوية توضح الوشاية وتحدد أنواعها ، لذا كان سهلاً على الإسبان ، وحتى بعض اليهود وربما بعض الأندلسيين أيضاً ، التعرف على نوع الهرطقة الذى يمكن إبلاغه إلى عمال محاكم التحقيق .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠٢ .

(٣) نفسه ، ص ٦٠٥ .

إلا أن هذه اللوائح كانت خاصة باليهود وبعض المسيحيين ذوى الممارسات الدينية غير الكاثوليكية . واقتضت ضرورات تنفيذ أوامر كارلوس الخامس وضع لائحة خاصة تمهيداً لدعوة الشعب الإسباني إلى الوشاية بهم . وتقع هذه المهمة على المحقق العام الذى يجمع العناصر والمظاهر القابلة للوشاية فى لائحة جرى تعليقها فى الأماكن العامة يتقدمها أمر بأهمية الوشاية بمن يمارس أيًا من البنود المذكورة خلال ستة أيام من رؤيتها أو تعريض نفسه للعقوبات الصارمة ومخالفة تعاليم الكاثوليكية .

وقد استندت الأحكام إلى أساس هش ، وكان الضحايا يظلون فى السجون سنوات طويلة، وأحياناً يموتون قبل أن تبدأ محاكمتهم ^(١) .

وفى هذا الصدد يقول "حان دى ماريانا" المؤرخ التابع لجماعة الجيزويت "إن الشيء الغريب فى الأمر هو أن يدفع الأبناء ما ارتكبه الآباء ، كما أن المتهم لا يعرف من اتهمه ولا يواجهه ، ولم يكن هناك أى بيان عن الشهود ، وهذا كله مخالف لما حدث فى المحاكم السابقة ، كما بدا لهم جديراً معاقبة تلك التهم بالموت ، والأخطر من كل هذا عدم ممارسة الحرية فى الحديث فيما بين الناس خشية أن يكون هناك من يشون بهم ويبلغون عما يحدث ، الأمر الذى أدى إلى حالة خطيرة من الإذلال الذى هو على شفا الموت " ^(٢) .

وقامت محاكم التفتيش بوضع المنتصرين الجدد تحت رقابة شديدة بهدف التأكد من عدم ممارستهم لشعائر دينهم الأصلية بهدف معرفة قدر ولائهم للدولة . وكانت تتبعهم فى كل أنحاء العالم، وارتكبت كثيراً من الفظائع ضد كل متنصر يقوم بشعائر دينه فى الخفاء ، وقد نشأت الكثير من الحوادث الدامية مثل ارتكاب أكثر من ١٠٠٠٠ حادثة حرق للمتنصرين اليهود على الموقد فى المحاكم وأديرة القضاء التى كان يطلق عليها باللغة البرتغالية "١٦٦٨" ^(٣) .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٧٠٤ .

(٢) مرجع نفسه ، ص ٦٠٣ .

(٣) مكاريوس : ، مرجع سابق ، ص ٦١٩ .

وقد شبه اليهود ما حدث لهم من اضطهاد في إسبانيا بأكثر مما لاقوه في سقوط أورشليم، فذكروا أن أكثر من نصف مليون يهودي أجبروا على ترك البلاد التي سكنوها نحو سبعة قرون، وأجبروا على التخلي عن أملاكهم وأموالهم حيث تفرقوا في المغرب وإيطاليا وفرنسا وتركيا، واستمر هذا الاضطهاد في إسبانيا حتى أواخر القرن السابع عشر^(١).

وقد تم إلغاء محاكم التفتيش في البرتغال في القرن الثامن عشر ١٧٣٩/١٠/١٩ بتدخل من البابوات، بينما تم إلغاؤها في إسبانيا في القرن التاسع عشر^(٢).

وعلى هذا فقد استمرت محاكم التفتيش في إسبانيا فترة تقارب الأربعة قرون أما في البرتغال فكانت فترة استمرارها أقل، حيث تزيد على القرنين بقليل.

وإذا كنا لا ننفي الفظائع وأعمال العنف التي اتخذتها محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود فإننا لا نبرئ اليهود من الأعمال والممارسات الاستفزازية تجاه الشعب الإسباني من ممارسة الربا واستخدام الرشوة واستغلال الأموال للضغط على الحكام باعتبارهم ممولاً جيداً إلى جانب استيلائهم على مناصب مهمة على حساب أصحاب البلاد الأصليين، هذا إلى جانب أمور الخيانة والوشاية التي شهدتها تلك الفترة من اليهود أنفسهم الذين خانوا أبناء ملتهم وأخواتهم في الدين وعلى رأسهم الخاخامات اليهود الذين تنصروا وأصبحوا قساوسة ورؤساء تعميد مسيحيين بل ومشاركين في تنفيذ محاكم التفتيش ضد إخوانهم اليهود.

(١) المرجع نفسه، ص ٦٢٠.

(٢) האנציקלופדיה היהודית "דעת". ערך אינקוויזיציה

الفصل الثاني

المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي

تعتمد الشخصية اليهودية على أسلوب التخفي والتكتم وإظهار ما ليس بباطنها ، ودائما ما يحرص اليهودي على إخفاء مقاصده الحقيقية بوسائل خفية يتوسلون بها لتحقيق أغراضهم، هذه الوسائل كانت دأهم عبر تاريخهم الطويل والنموذج الذي نتخذه لإبراز هذا هو المارانوس الذين مارسوا كل الوسائل الخفية والسرية في إسبانيا داخل الأوساط المسيحية حتى يحققوا أهدافهم التي تنوعت بين مصالح شخصية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، فقد مارسوا كافة الوسائل لإظهار الإخلاص للمسيحية ، وفي الوقت نفسه كانوا يتبعون اليهودية ويعتقدون بعقائدها ويؤدون شعائرها سرا .

وسوف نتعرض في هذا الفصل لممارسات المارانوس اليهود وحرصهم على مزاوله العقائد والشعائر المسيحية حيث افتقدوا هويتهم الدينية والأصلية ، كما نتعرض للوسائل التي اتبعوها لأجل إخفاء عقيدتهم وإبراز مدى قدرتهم على التخفي والاندماج في المجتمعات التي يقيمون داخلها.

المبحث الأول

ممارسة المارانوس الشعائر المسيحية

كانت الطائفة المسيحية الأولى في أول الأمر عبارة عن طائفة يهودية مسيحية ثم أصبحت تتألف من المتحولين الوثنيين إلى المسيحية ، وكانت طائفة غير شرعية مارست طقوسها في الخفاء ، ويعد القديس بطرس أول بابا يهودي ، وأول رئيس لكنيسة روما ^(١) . وكان يسوع الناصري يهوديًا وأيضًا بولس الطرسوسي ^(٢) .

وكانت العصابات الكنسية المسيحية ، هي مصدر الإرهاب لجماعات المنتصرين ، مما جعل التمسك باليهودية من الأمور الصعبة للغاية ، خصوصًا بعد طرد اليهود من إسبانيا عام ١٤٩٢ ، مما أدى إلى قطع البعض كل صلة مع اليهود واليهودية ، وقد تنوعت درجة التمسك باليهودية بين صفوف اليهود المنتصرين .

ويتضح من الممارسات الدينية التي قام بها المنتصرون اليهود في المجتمع الإسباني مدى تمكن العنصر اليهودي للسعى لتحقيق مصالحه ولو كان على حساب عقيدته ودينه .

فقد مارس المارانوس الذين تحولوا إلى المسيحية جميع الشعائر التي تقتضيها الديانة المسيحية في العلن كمحاولة لإظهار صدق تنصرهم . فكانوا يُعمّدون أطفالهم بحسب التقليد المسيحي، ويذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد ، ويذهبون للاعتراف دون أن يدلّوا بأية اعترافات حقيقية، وكانوا يتناولون القربان في الكنيسة ثم يصقونه خارجها ^(٣) .

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

(٣) وهو تابع للعشاء الرباني "الأفخارستيا" في الطقوس المسيحية ، ويوجب على المسيحي تناوله ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف الذي يتحول "في زعمهم" الماء أو الخمر إلى دم المسيح والخبز إلى عظامه ، ومن يتناوله يمتزج في تعاليمه ، ويعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جشيماني ويعتقدون أن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في خومهم وقد ورد في إنجيل متى ٢٦/٢٦-٢٨ : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا وكلوا هذا هو جسدي " ويستعمل الكاثوليك الفطير بدلاً من الخبز المختمر . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف

وداخلًا : كان معظم المارانوس اليهود يعتقدون أن الخلاص سوف يتم من خلال شريعة موسى، وليس عن طريق الكنيسة أو المسيح ، ويؤمنون بأن تنصرهم القسري هو جزء من العقاب الإلهي الذي حاق باليهود ، تمامًا مثلما حدث لليهود أثناء النفي وقد مثلت شخصية "إستير" مثالاً للفكر الديني لدى المارانوس باعتبارها صورة مُسبقة لما يحدث لهم ؛ وذلك لأن إستير، اضطرت إلى إخفاء هويتها الدينية مدة من الزمن ، حتى تحرز مكانة متميزة داخل البلاط الفارسي .

وخلاصة قصة إستير كما وردت في الكتاب المقدس ^(١) أن ملك الفرس "أحشويروش" - كان قد اتخذ له وزيراً اسمه "هامان" . وكان هذا الوزير يكره رجالاً من حكماء اليهود ، اسمه "مردخاي"، كراهية شديدة تعدت شخصه إلى الجنس اليهودي كله ، بحيث أقسم هامان أن يقطع دابرهم جميعاً من بلاده . وأجرى هامان القرعة لاختيار يوم مذبحه اليهود ^(٢) وأسفرت هذه القرعة عن تحديد الثالث عشر من آذار (مارس) موعداً لتنفيذ عملية الإبادة في اليهود ، وأعدت مشنقة في الساحة العامة حتى يعلق فيها مردخاي اليهودي . وكان مردخاي هذا وصياً وولياً على قريته "إستير" التي كان جهاها مضرب الأمثال . وكان "أحشويروش" ملك الفرس عاشقاً لها مغرمًا بها بحيث أفسح لها مكاناً في قاعدة ملكه ، وأبدى في مناسبات كثيرة الطاعة لأمرها لدرجة أنها كانت تسمى "الملكة إستير" .

وتحكي أحداث القصة التوراتية ان اليهودي مردخاي ذهب مستنجداً بإستير ، فأجابته بقولها "اذهب وأجمع كل اليهود الذين في شوشان (عاصمة المملكة التي تسمى سوزة أيضاً) وصوموا لأجلي ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً ، وأنا ووصيفاتي نصوم كذلك، ثم أدخل على الملك ، على خلاف العادة ، فإن هلكت هلكت" وتستمر القصة من سفر إستير فتقول :

مانع بن حماد الجهمي، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ — ٥٧٦/٢ ، ١٠٩٤ .

(١) تقول الفقرة في التوراة : " اذهب اجمع جميع اليهود الموجودين في شوشن وصوموا من جهتي ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً وأنا أيضاً وجواري نصوم كذلك ، وهكذا ادخل إلى الملك خلاف السنة ، فإذا هلكت هلكت . فانصرف مردخاي وعمل حسب كل ما اوصته به إستير " . سفر إستير ١٦/٤ .

(٢) البوريم عند اليهود ، القرعة وكلمة القرعة في اللغة الفارسية "بور" أو "فور" ، وجمعها بالعبرية "بوريم" .

"وكان في اليوم الثالث أن لبست إستير ثياب الملك ، ووقفت في ساحة دار الملك الداخلية... فكان لما رأى الملك إستير الملكة واقفة في الساحة ، أنها نالت حظوة في عينيه ، فمد الملك لإستير صولجان الذهب الذى بيده ، فتقدمت إستير ، ولمست رأس الصولجان ، وقال لها الملك : مالك يا إستير الملكة ، وما بغيتك ؟ ولو كانت نصف المملكة فإنها تعطى لك . فأجابت إستير : إن حَسُنَ عند الملك ، فليأت الملك وهامان هذا اليوم إلى الوليمة التى أعدتها له . فقال الملك : استعجلوا هامان ليفعل كما قالت إستير . فخرج هامان ذلك اليوم فرحاً طيب القلب .

ولما رأى "هامان الفارسي" ، "مردخاى اليهودى" بباب الملك ، وأنه لم يقم له ولم يتحرك ، امتلأ هامان غيظاً على مردخاى . ولكن هامان ضبط نفسه ، وجاء إلى بيته وأرسل فأحضر أصدقاءه وزوجته "زرّاش" . وحدثهم هامان بعظمة ثروته وكثرة بنيه وكل ما كرمه به الملك ، وكيف رفعه على الزعماء وعبيد الملك . وقال هامان : وفوق ذلك فعن إستير الملكة لم تُدخل أحداً إلى الوليمة التى صنعتها إلا إياى مع الملك ، وأنا غداً مدعو أيضاً إليها مع الملك ، إلا أن هذا كله عندى لا شئ ، ما دمت أرى مردخاى اليهودى جالساً بباب الملك فقالت له "زرّاش" زوجته وجميع أصدقائه : لتصنع خشبة بعلو خمسين ذراعاً ، وغداً كلم الملك فيعلق عليها مردخاى ، ثم ادخل مع الملك إلى الوليمة مسروراً ، فحسن الأمر عند هامان وصنع الخشبة .

وتستمر إستير هى ومردخاى في حبك المؤامرة ، والملك يسكر معها حتى انتهى الأمر بشنق "هامان" على الخشبة التى كان قد أعدها لمردخاى ، وسلم الملك بيت هامان لإستير التى عينت فيه مردخاى وكيلاً . ويقول سفر إستير أنه في اليوم الثالث عشر من آذار الذى كان فيه أعداء اليهود يرجون التسلط عليهم ، "انقلب ذلك فكان لليهود التسلط على مبغضهم . إذ اجتمع اليهود في مدائنهم ، في جميع أقاليم أحشوروش الملك ، لكى يلقوا أيديهم على جميع طالبي مساءقهم ، فلم يقف أحد في وجوهم ؛ لأن خوفهم وقع على جميع الشعوب . وكان جميع رؤساء الأقاليم والأقطاب والولاة ووكلاء عمل الملك يساعدون اليهود ، لأن خوف مردخاى وقع عليهم . إذ كان مردخاى عظيماً في بيت الملك ، وقد سار ذكره في جميع الأقاليم ، لأن مردخاى كان آخذاً في العظمة ف ضرب اليهود جميع عدايهم ضرب السيف والقتل والإهلاك .

وأما اليهود الذين في شوشان فإفهم اجتمعوا في الثالث عشر والرابع عشر من شهر آذار (مارس)، واستراحوا في الخامس عشر منه ، وجعلوه يوم وليمة وفرح ؛ ولذلك جعل اليهود الذين في القرى ، الساكنون مدائن غير محصنة ، اليوم الرابع عشر من شهر آذار يوم فرح ووليمة ، ويوم خير وتوجيه "أنصبة" من بعضهم إلى بعض ... لذلك دعوا هذين اليومين بوريم أخذًا من اسم البور. وسن اليهود وأوجبوا على أنفسهم وعلى نسائهم وعلى كل من يتصل بهم، ألا يبطل تعييدهم لهذين اليومين بحسب كتابتهما وأوقاعهما كل سنة ^(١).

ومن سياق قصة إستير نجد أنها استطاعت بالتخفى والمكر والخداع ان تستبدل القاتل بالمقتول والوصول إلى السلطة لذا فقد اعتبر المارانوس أن أسلوب حياتهم المتخفى في إسبانيا يتسق مع ما فعلته إستير في فارس .

ونظرًا لازدواج شخصيات المنتصرين فقد ازدوجت ممارساتهم العبادية ، ويظهر ذلك من خلال حرصهم على الذهاب إلى الكنائس المسيحية ، والصلاة التي يؤديونها ، في الكنائس المسيحية وتناولهم الخبز الكنسي ، وإظهار ولائهم الكامل للقسيسين والأساقفة ، وفي نفس الوقت كانوا يحرصون على أداء شعائرتهم اليهودية داخل بيوتهم ، ويوقدون شموع السبت ، ويحتفلون بالأعياد اليهودية ، حتى بات من الصعب كشف هويتهم الدينية .

وكان أول عمل يقوم به المنتصر حين يدخل المسيحية هو التعميد ، ويحمل التعميد معنى مهمًا ؛ لأن الكاثوليكية تعتبره عقدًا بين المَعْمَد والكنيسة فإذا أخلفه حق عليه العقاب ، ويجب على محاكم التحقيق اعتقاله أينما كان ومهما كانت جنسيته . وعندما فرضت الكنيسة على الأندلسيين قبول هذا العقد لم يبق بعد ذلك سوى متابعتة ؛ لذا نجد أن الملك ألفونسو "مانريك" أمر في آيار (مايو) (١٥٢٥) جميع الأندلسيين المَعْمدين بالتوجه إلى كاتدرائية بلنسيا لإبرائهم من قم الهرطقة ، وتوعد من يرتد منهم بعد التعميد بالإعدام ومصادرة الأموال والممتلكات .

وفي (١٣) أيلول سبتمبر عام (١٥٢٥) وجه كارلوس إلى الأندلسيين في بلنسيا أمرًا بقبول التعميد رغبة في "إنقاذ أرواحهم وانتزاعهم من الضلال الذين يعيشون فيه " في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه تم إجبار الأندلسيين على التعريف بأنفسهم عن طريق وضع

(١) ظا ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ ، - ١٧٥ .

هلال من قماش أزرق على قبعاتهم بحجم البرتقالة ، ولحق به أيضًا قرار آخر صدر في ١٨ تشرين الثاني من العام ذاته بإجبار الأندلسيين على الإبلاغ عن أى متحول يرجع إلى دينه . أما آخر سلسلة القرارات التي عرفها العام ١٥٢٥ فهو الذى صدر فى الثامن من كانون الأول (ديسمبر) ونص على وجوب قيام محاكم التحقيق والكنيسة بتعميد جميع المتحولين قسرًا قبل ٣١ كانون الثاني (يناير) من العام بعده .

وكان أداء التعميد المسيحى يعد ميلادًا جديدًا للمتنصر، يتبعه تحوله إلى اسم جديد مسيحى غير مسماه اليهودى المعروف ، ومثال على ذلك أسرة بيرليوني التي تحولت كلها فى روما إلى المسيحية عام ١٠٣٠ وأدت طقوس التعميد وكان رئيس هذه العائلة هو "باروخ" الذى أطلق على نفسه اسمًا مسيحياً هو "بندكتوس" أي المبارك حيث أعلن نبذه لاسمه العبري ودينه^(١) .

أما إجراءات طقوس التعميد التى مارسها المسيحيون فتمثلت فى الآتى :

- كان الكاهن يقوم بالنفخ فى وجه المتنصر كما نفخ المسيح روح القدس فى حواريه .
 - ثم يشير كل متنصر إشارة الصليب على جبهته وكتفيه .
 - ثم تتلى صلاة القربان المقدس .
 - ثم يوضع فى أفواه المتنصرين ملحًا ، ويقصدون به ملح الحكمة المقدس وذلك حتى يكتسب المعتنق الجديد المناعة والقوة التى تساعد على مقاومة الفساد - بحسب اعتقادهم .
 - وبعد ذلك يقوم المتنصر المعمد بالركوع من أجل الاستغفار .
 - ثم يستعدون لمغادرة الكنيسة فيتناولون الخبز والخمر على المذبح .
 - ثم يتناولون العشاء الربانى المقدس^(٢) .
- وبالنسبة لعقيدة المسيحى فإن كل شخص غير معمد يكون جسمه مكانًا لسكن الشيطان وبعد التعميد يصبح مسكنًا للمخلص يسوع^(٣) .

وكان اليهودى المتحول للمسيحية يلتزم بأداء قسم أمام الكنيسة وهو كالتالى:

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٠ .

- أقسم قسمًا مغلفًا أنني أعتقد بأن الضحايا المسجلة في العهد القديم ، ما هي إلا بشائر للتضحية المقدسة الكبرى للمسيح ، كما عاناها على الصليب .
- أقسم أن قضية خلاص الإنسان من خلال المسيح ، قد أعلن عنها الرب في وعوده لإبراهيم والرسل الآخرين ، وأن هذا الأمر لم يعره الإسرائيليون أى اهتمام ، بل على العكس صلبوا المخلص المنتظر وهو المسيح نفسه .
- أقسم أنى إن انخزت أو ترحزحت عن هذا الايمان الحقيقى ، وهو إيمان الكنيسة الكاثوليكية، بأنى أستحق الموت .
- أقسم أنى عن طيب خاطر ، وبشكل طوعى ، ومن كل قلبى ، وروحى وقدرتى أقبل شريعة المسيح ، وأرفض كل شريعة عداها ، وأنه طبقاً لدينى القديم الذى وضع في العهد القديم يلزم شاهدان أو ثلاثة لإقرار الحق ، وازهاق الباطل ، ولكن حقيقة المسيح قد أثبتها اثنا عشر شاهداً ، وهم حواريو المسيح الاثنا عشر .
- أقسم أنه مع أن شعبي وأنا قد رفضنا المسيح سابقاً ، إلا أننا الآن قد قبلناه في مجده وعلاه .
- أقسم أنني أعتقد الآن أن مجيء المسيح قد ثبت بشهادة التوراة والأنبياء .
- أقسم أنني أرفض شرائع ومبادئ اليهود ، وسوف أتناول الأطعمة ، التى حرمتها الشريعة اليهودية ، ما لم يكن تجنبها أمراً طبيعياً غير صادر عن الخرافات والأساطير القديمة .
- أقسم أنني من الآن فصاعداً ، سوف أمتنع عن الاتصال باليهود الذين لم يتحولوا بعد .
- أقسم بأن أسلم إلى السلطات اللاهوتية المسيحية جميع الكتب التى بحوزتى بما فيها الأبوكريفا (الخدوف من التوراة) حتى أتجنب الوقوع فى أى اشتباه أو شك فى إخلاصى وولائى للدين الجديد .
- أقسم ألا أقرب من الكنيس اليهودى ، وبالتأكيد ألا أدخل أى بيت يهودى للعبادة ، بل أوجه خطواتى نحو طريق آخر حتى لا أمر ببيت العبادة ذاك .
- أقسم أن كل ما قلته فى هذا القسم صحيح بالنسبة لنفسى وبالنسبة لأفراد عائلتى^(١) .

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

وقد كان أي انتهاك لهذا القسم ينال عقاباً صارماً والعقاب هو :

إذا عاد المتحول واشترك في عيد الفصح اليهودى كان يعاقب بالجلد - مئة جلدة بالسوط - مع مصادرة أملاكه وربما نفى^(١) .

وهناك وثيقة تدعى البلاسيوم وهى التى توجب على كل يهودى يتنصر أو يتعمد أن يوقع عليها وجاء فيها :

" أتعهد إننى لن أدنس أو أهجر الدين المسيحى المقدس ، الذى قد قبلته من خلال ماء التعميد، ولن أخالفه لا بالأقوال ولا بالأفعال ، ولن أسبب له أية إهانة أو إساءة علنية أو سرية ، ولن أزوغ عن التعميد الحقيقى ، لا بالهرب ولا بالاختباء ، ولن أفكر فى حياتى بالرجوع إلى الأخطاء الماضية، ولن أحاول أن أتملص من الالتزامات التى أتعهد بإنجازها بإخلاص ، وأثبتها بتوقيعى الخاص فى أسفل هذا التصريح ، ولن أحاول إخفاء أى شخص يتورط فى عمل المحرمات الممنوعة وفى العادات والتقاليد اليهودية الشيطانية ، وأعد أن أسلم هذا الشخص إلى السلطات الكنسية ، وأن أعلم وأخطر هذه السلطات عن أية إشاعة تشير إلى مكان اختباء هذا الشخص ، وإنى على تمام العلم أن أى خرق أو تدنيس لهذه الالتزامات التى تعهدت بها استحق عليه عقوبة الموت ، ولن احتفل بعيد الفصح اليهودى ، ولا أى عيد يهودى آخر، ولن أتزوج أية امرأة يهودية ، ولن أمتنع عن تناول أى طعام أو ألتزم بأى نوع من المأكول عدا المأكول والأطعمة المسيحية"^(٢) .

ويلاحظ إحاطة القسم بكافة النواحي الإيمانية للفرد المنتصر داخل المسيحية التارك اليهودية بل وتعدى القسم الجوانب الإيمانية إلى كافة الجوانب الحياتية والسلوكية بحيث يقطع المنتصر أى صلة له بدينه القديم وهو اليهودية ، وفى الوقت نفسه يوثق كل الصلات بدينه الجديد وهو المسيحية .

ويلاحظ أيضاً أن الالتزام بتطبيق المسيحية كان صارماً وإن أى تقاوم عن هذا الالتزام سوف يعرض صاحبه لعقوبة شديدة تصل إلى الموت أو الحرق .

(١) برنر يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

لكن على الرغم من تلك التعهدات والالتزامات إلا أن اليهود المنتصرين لم يلتزموا بها براءة فقد اتضح من فحص عدد من الوثائق الخاصة بمحاكم التفتيش ، ووثائق أخرى أن عددًا كبيرًا من المسيحيين الجدد ظلوا متمسكين بعقيدتهم اليهودية ونجحوا في إقامة حياة يهودية سرية في إطار طائفي تنظيمي ، حيث كانت تتم اجتماعاتهم سرًا داخل منازل خاصة على مدي ٢٠٠ عام ، وقد تمكنت محاكم التفتيش من تعقب عدد من المسيحيين الجدد الذين ذهبوا إلى أوروبا ، وعادوا ليهوديتهم ، أما المسيحيون الجدد في البرتغال فكانوا أصحاب بأس وقوة داخلية تنبع من قوتهم العقائدية ، ومعرفتهم الخبيرة بالعادات والنظم اليهودية ^(١) .

(١) ليسك. ربקה شمس (د"ر). לקחים הסטוריים . יהדות סודית בצל האינקוויזיציה .

المبحث الثاني

أساليب المارانوس في ممارسة الشعائر اليهودية

حرص المارانوس الذين أبطنوا اليهودية على أداء طقوسهم وشعائهم الدينية اليهودية بأشكال سرية مستخدمين أساليب عدة من أجل إخفائها ومن هذه الأساليب :

• كان المنتصرون اليهود يستخدمون كوداً سرّياً 777 777 لأجل التعرف والاتصال بدويهم في أى مكان في العالم ؛ وذلك حفاظاً على سرية المراسلات بينهم ، حيث تم الاحتفاظ بعدد من الوثائق المكتوبة من جانب اليهود في المتحف البريطاني بشكل كود شفري سري . وكان كل منهم يعرف أخاه اليهودى عن طريق وضع يده اليمنى على رأسه أثناء الحديث ، وكانت صيغة السؤال وصيغة الإجابة من وسائلهم للتعرف على أقرانهم من اليهود المنتصرين ^(١) .

• كانوا يبنون معابدهم في الأحياء التى يسكنون فيها على شكل الكنائس الكاثوليكية في مظهرها الخارجى ، وتحوى أجراساً وصلباناً وصوراً وتماثيل مثل الكنائس المسيحية تماماً ، بينما كانوا يتعبدون داخلها بحسب طقوسهم اليهودية ^(٢) .

• كان المنتصرون يفضلون السكن في الأديرة المسيحية التابعة للربان في عزلة وصمت؛ وذلك لأن الدير كان المكان المناسب لإقامة أي شريعة في سرية بلا خوف ، وقد تعقبتهم محاكم التفتيش وتم تحريم دخول المنتصرين اليهود إلى تلك الأديرة ^(٣) .

• كان امتلاك تماثيل القديسين أمراً معتاداً في البيوت المسيحية ^(٤) ؛ لذا فقد قام المنتصرون بالاحتفاظ بتماثيل القديسين في بيوتهم لدواعي الشعور بالأمان ، لكنهم كانوا

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים

(2) ظا ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

(3) <http://he.wikipedia.org/wiki/אבוסים>

(4) يعتقد المسيحيون بالإيمان بالسيدة مريم العذراء ، وأنها والدة الإله ، ولذا يوجون تقديسها كما يقصدون القديسين والأيقونات غير المجسمة ويتخذونها رمزاً وشعاراً ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع

سابق ، ٢ / ٥٩٤ .

يوجهون وجوه هذه التماثيل تجاه الحائط . وحين زيارة أحد من المسيحيين منزلهم ، كانوا يديرون وجوه التماثيل المسيحية تجاه الغرفة وليس للحائط وحين مغادرة المسيحيين لمنزلهم كانوا يقومون بضرب تلك التماثيل **הכאת פסלי קדושים והסתרת פניהם** (١) .

• ويهدف الترميمية كان المنتصرون يؤشرون على جباههم وصدورهم بعلامة الصليب بينما يستعملون نصف العلامة فقط (٢) .

• استطاع بعض المنتصرين إقامة عدد من المعابد اليهودية سرًا ، في مناطق مختلفة في العالم وكان أعضاؤها منضمين لطوائف في أماكن أخرى مثل ولاية "مكسيكو سيتي" ، وفي إسبانيا الجديدة ، وفي عدد من المستوطنات التابعة للسلطات الإسبانية ، كذلك كان الأمر مع طوائف "ريو دي جنيرو" ، والشمال الشرقي للبرازيل وغيرها (٣) .

عقيدة المارانوس في قدوم المسيح **אמונה בבוא המשיח**:

لم يؤمن المنتصرون بالثالوث المقدس المسيحي ، ولم يؤمنوا بيسوع المسيح ، لكنهم كانوا يؤمنون أنه عندما يأتي المسيح ابن داود ، سوف يتم تخليصهم ويستطيعون أن يحيا في سلام ودعة . كما كانوا يشعرون بالإثم ، بسبب تنصرهم إلا أنهم مع ذلك كانوا يستخدمون الصليب ويضعونه على صدورهم ظاهريًا ؛ لذلك اعتادوا أن يصوموا ، وقاموا بتأليف صلاة خاصة لطلب السماح والغفران من الرب إله إسرائيل (٤) .

(١) أجاز الكاثوليك عبادة الصور والتماثيل ويعتقدون بوجود تكريم أيقونة المسيح والعذراء مريم والقديسين ، ويرون أنه من الواجب السجود لبقايا القديسين وتكرعهم والتضرع بهم إلى الله ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ٥٩٤/٢ أما العهد القديم فقد نهي عن تقديس التماثيل وهو ما جاء في سفر التثنية ٥ : ٨ : "لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، وما في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد هن ، ولا تعبدن لأنني أنا الرب إلهك غيور" ، وجاء في التثنية ٤ : ١٥ : "فاحذروا لأفْسُكُمْ جَدًّا ، فَأَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً مَا حِينَ خَاطَبَكُمْ الرَّبُّ فِي جَبَلٍ خُورِبٍ مِنْ وَسْطِ الْثَّارِ . لِمَلَا تَفْسُدُوا فَتَنْحَتُوا لَكُمْ تَمَثَالًا لَصُورَةٍ مَا لِمَالِ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ" وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١ : "لَا تَصْنَعُوا لَكُمْ أَصْنَامًا ، وَلَا تَقِيمُوا لَكُمْ تَمَاتِيلَ مَنَحُوتَةً ، أَوْ أَصْنَابًا مُقَدَّسَةً ، وَلَا تَرْفَعُوا حَجَرًا مُصَوَّرًا فِي أَرْضِكُمْ لِتَسْجُدُوا لَهُ " .

(٢) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) ليسان . ربקה شפק (د"ر) . لقهيم הסטוריים

هذا وقد مارس المارانوس شعائهم اليهودية بطرق سرية وخفية حتى لا يلفتوا أنظار المراقبين المسيحيين لهم ، وفي الوقت نفسه يشعرون ببعض الأمان الداخلى فى أداء شعائهم دينهم الأصلي المحظور عليهم أدائه فى الظاهر .

كيفية تطبيق المارانوس لطقس الختان :

يطلق على الختان فى اللغة العبرية "ميلاه" (מילה) ويطلق عليه أيضاً بریت ميلاه "ברית מילה" أى عهد الختان ويعد من أهم الشعائر والفرائض الدينية فى اليهودية ، فالطفل فى الشريعة اليهودية يختن بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر - حتى ولو وقع اليوم السابع فى يوم السبت ، أو فى عيد يوم الغفران ، أكثر الأيام قداسة ، وقد أمر بالختان منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - وهو رمز للعهد المبرم بين الرب واليهود ودليل ارتباط الطفل بعقيدته اليهودية .

لذا فقد سبب القيام بطقس الختان مشكلة كبيرة لدى المارانوس اليهود ؛ نظراً لأنه كان محظوراً عليهم الختان باعتبارهم مسيحيين ، وفى الوقت نفسه كان لابد من أدائه باعتبارهم يهوداً؛ لذا فقد حاولوا إخفاء ختانهم عن محاكم التفتيش ، عن طريق جرح القلفة ، وليس استئصالها كاملة^(١). ويقول د. حسن حنفى : "بالرغم من تخلى يهود إسبانيا عن دينهم وتحوّلهم إلى الكاثوليكية... إلا أنهم حافظوا على طقس الختان رمزاً للرباط الأبدي بينهم"^(٢).

(١) لوسى. ربكة. שמך (ד"ר). להקים הסטוריים . وقد ذكر الختان فى العهد القديم فى ثلاثة مواضع أهمها فى سفر التكوين (١٧/١٠ - ١٥) [هذا هو عهدي الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم وليد البيت ، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختّاناً وليد بيتك ، والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدي فى لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، إنه قد نكث عهدي] . الشامى : رشاد : موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٤ - ٧٥ . والشامى : رشاد ، الرموز الدينية فى اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١ ، ٢٠٠٠ م ، ص ١١٠ .

(٢) إيسينوزا ، رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، مقدمة الترجمة ، ص ٥٦ .

لمحافظة على شعائر السبت :

يعد السبت عيداً أسبوعياً عند اليهود وهو يوم مقدس يبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت وقد ورد السبت في التوراة في الوصايا العشر التي ذكرت في سفر الخروج^(١) وفي سفر التثنية^(٢).

وأهم شعائر هذا اليوم عند اليهود كما ورد في سفر الخروج ، الكف عن أي عمل ، وذلك لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من تكوين الخليقة ، ويحرم فيه القيام بأي حرفه ، ويحرم إيقاد النار فيه ولكن تقاد فيه الشموع ، كما يحرم السفر فيه ، كما حرموا فيه إنفاق النقود والبيع والشراء ، وحرموا الكتابة أو استخدام أقلام أو نقود أو كبريت ، وخروج اليهودي في هذا اليوم يكون للمعبد فقط حاملاً التوراة أو كتاب الصلوات ، كما يحرم فيه عقود الزواج والحرب إلا في حالة الدفاع فقط^(٣).

وقد سببت المحافظة على شعائر السبت " שמירת השבת " إشكالية كبيرة لدى المارانوس في أدائهم لتلك الشريعة المقدسة ، حيث إن عدم إشعال الشموع "הדלקת הנרות" يوم السبت يعد خطيئة في اليهودية تستوجب الموت ؛ لذا فقد اعتادت نساء المنتصرين إيقاد الشموع وإخفائها تحت الموائد ، وتغطية النوافذ بقماش أسود اللون حتى لا يراهم أحد ، وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد اليهودية — حتى لا يتم كشف أمرهم^(٤) كما اعتاد المارانوس اليهود إعداد طعام السخينة

(١) في شأن شريعة السبت عند اليهود ورد في سفر الخروج (٢٠ / ٨ - ١١) : اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وهيمنتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدهس .

(٢) جاء في سفر التثنية (٥ / ١٢ - ١٦) : احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت ، ظاهراً ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٤) ليس. رבקה שפך (ד"ר). לקחים הסטוריים .

أو الدفينة يوم الجمعة ^(١) ويظل الاحتفاظ بذلك الطعام طوال يوم السبت ، وعند حلول يوم السبت كان المنتصرون يرتدون ملابس نظيفة ويفتحون حوانيتهم ، لكنهم كانوا يتهربون من البيع لأي أحد بخدع عديدة؛ وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم البيع يوم السبت ^(٢) . وقد كشف أحد المفتشين الكنسيين المكلفين بتعقب أحوال المنتصرين اليهود في أشبيلية ، ممارسة المنتصرين لشعائر السبت فيقول :

" لو أردنا معرفة كيف يحافظ المنتصرون على وصايا السبت فلنذهب ونصعد إلى البرج ، فسند أن أنه لا يوجد بيت من بيوت المنتصرين يتصاعد منه دخان ؛ لأنهم لم يوقدوا ناراً بسبب وصايا يوم السبت" ^(٣) .

المارانوس والابن البكر :

تتم الشريعة اليهودية بالابن البكر ، ويعد خليفة لأبيه في كل شئ عند القبائل الأولى . فهو يستولى على السلطة من بعده ، ويكون هو المتصرف في كل ثروته ، وكثيراً ما كانت المنافسة تشتعل بين الإخوة الصغار وأخيهما الأكبر البكر بسبب هذا . كذلك كانت تحدث مؤامرات ، ومغالطات حول انتزاع هذا الحق والاستيلاء عليه . وقصة يعقوب وتأمرة مع أمه "رفقة" على انتزاع هذا الحق الذي كان لأخيه "عيسو" من أبيهما إسحق عندما شاخ وفقد بصره مشهورة ، ومذكورة بتفاصيلها في الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين في التوراة . وفي الفقه اليهودي المعمول به الآن يكون "للولد البكر من الأب مثل حظ الولدين، فهو مميز بسهم بعلة البكورة"

وقد اعتاد المنتصرون أن يخفوا عن أبنائهم أصلهم اليهودي حتى يبلغوا سن التكليف ^(٤) لكنهم كانوا يخلقونهم ألا يفشوا سرهم ، أما الابن البكر "הבכור לנכסיה" ^(٥) .

(١) الدفينة أو السخينة مجموعة من المأكولات التي يتم طهيها على مدى فترة طويلة وعلى نار هادئة ، وتختلف مكونات هذه الأطعمة حسب عادات كل طائفة يهودية ، لكن بشكل عام الدفينة تشمل بطاطس وبطاطا ولحم وفاصولياء وبيض ، وبعد ساعات عديدة من الطبخ ووضع الدفينة على النار يتحول الطعام ويأخذ لوناً آخر ، وهذه الأطعمة من عادات السبت عند اليهود www.wikipedia.org . ערך חמין .

(٢) לויסן. רבקה שסק (ד"ר). לקחים הסטוריים

(٣) האינציקلوپדיה העברית ע ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤) يسمى الابن البالغ في العبرية "בר מצווה" بارمتسفاه وتحدد اليهودية سن البلوغ أو الرشد عندما يبلغ الصبي الثالثة عشرة من عمره فيعتبر "بارمتسفاه" أي الرجل المسئول ، أما سن البلوغ عند الفتاة فهو سن الثانية عشرة وعندها يطلق عليها "בת מצווה" وتكون ملزمة بالقيام بجميع الفرائض الدينية .

מצווה www.wikipedia.org/wiki/Mitzvah .

(٥) ظاهراً ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

فكانوا لا يخبرونه بسرهم بل يرسلونه ليعمل بالكنيسة ليعرف أخبارها (١) .

سرية الاجتماع للصلاة התכנסות לתפילה :

الصلاة في بداية ظهور التوراة كانت عبارة عن تقديم القرابين للآله وكانت في عهد الأنبياء الأوائل غير محددة ولا إجبارية ، وكان الأنبياء يصلون صلوات تتلى ارتجالاً حسب الأحوال والاحتياجات .

ولم تبدأ الصلوات في اليهودية بشكلها الحالي إلا بعد تدمير المعبد والسبي البابلي ، وبعد أن بطلت التقدمات والقرابين حيث بدأت العبادة الروحية بالصلوات .

والصلاة في اليهودية قسمان : فردية ، وجماعية ، الفردية تتلى حسب الاحتياج والظرف الخاص بها مثل صلاة إبراهيم - عليه السلام - لأجل خلاص سدوم وصلاة موسى (عليه السلام) لأجل بني إسرائيل وغيرها .

أما الصلاة الجماعية فهي التي تؤدي في أماكن مخصوصة ومواعيد محددة.

ولم توضع الصلوات الطقسية إلا بعد تأسيس أماكن العبادة كخيمة الاجتماع والهيكل وفي عهد الأنبياء المتأخرين حيث وضعت صلوات قانونية محددة بتوقيعات مثل ما ورد في دانيال وتحددت بثلاث مرات كل يوم (٢) .

وقد ورد في المشنا في ماسيخيت براخوت (فصل البركات) ٣/ ٣ أن الصلاة في اليهودية فريضة على النساء والرجال فكانوا يصلون جلوساً ووقوفاً ويركعون ويسجدون ويحرضون على وضع الأيدي على صدورهم مع حني الرأس قليلاً احتراماً للصلاة وتوقيراً لها ، ويقرأ لهم الصلاة الحزان (ويوازي الإمام) بصوت مرتفع (٣) .

وواضع الصلاة في اليهودية بعد دمار الهيكل الأول هو عزرا الذي جمع رجال الكنيسة الكبرى وقاموا بوضعها وهي التي تتبع حتى الآن (٤) .

(١) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים .

(٢) جاء في نص دانيال : فلما علم دانيال بامضاء الكتابة ذهب الى بيته و كواه مفتوحة في عليته نحو اورشليم فاجتا على ركبته ثلاث مرات في اليوم و صلى و حمد قدام الله كما كان يفعل قبل ذلك ، دانيال ١٠/٦ . و
ظاها ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

(٤) نفسه ، ص ١٤٥ .

أما المنتصرون فقد حرصوا على إقامة الصلاة الجماعية (٦٦٦٦) في معبدهم السرى بشكل صارم، وحتى يتم إخفاء الدعوة للمصلين لاجتماع الصلاة، كان يتم إرسال عبد يرتدي لباساً أحمر، يقوم بالدق على دف كإشارة للمتصرين أن يجتمعوا ويذهبوا من جميع الشوارع والطرق إلى المعبد لحضور اجتماع الصلاة، كما اعتادوا الصوم، وتلاوة التوراة في جماعات؛ ونظرًا لأن نسخ التوراة كانت قليلة ونادرة، فقد استخدم المنتصرون أناشيد ومزامير سفر المزامير الدومينيكانى^(١).

أيضًا كان المنتصرون يقيمون صلواتهم باللغتين الإسبانية والبرتغالية، ويتلوها بعبارات عبرية مثل: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد"، وهى آية التوحيد عندهم وتدخل في صلاة الشماع التى هى القسم الأساسى من أقسام الصلاة فى اليهودية المأخوذ من سفر التثنية ٦ / ٤ الذى يبدأ بآية التوحيد، ثم محبة الله وحفظ وصاياه وتعليمها للأبناء، مع وجوب التكلم عنها دائماً وربطها على الأيدي، وتكون عصابة بين الأعين، وتكتب على قوائم الأبواب (المزواه)^(٢).

وتلى الشماع فى الأهمية صلاة الثمانى عشرة بركة وتسمى "شموه عسرية" وهى التى وضعها عزرا ورجال الكنيسة وهى عبارة عن تسابيح وطلبات وتوسلات وشكر^(٣).
والصلوات الواجبة فى اليهودية ثلاث فى كل يوم:

١ — شحاريت (الفجر) ووقتها منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.

٢ — منحه (القبلولة) ووقتها منذ انحراف الشمس إلى ما قبل الغروب وهى العصر.

(١) الدومينيكان طريقة فى الرهبنة المسيحية أسسها الراهب دومينيكوس فى القرون الوسطى.

(٢) المزواه: ورقة بها مجموعة من الفقرات من العهد القديم يقرؤها اليهودي تاركًا حين مغادرته منزله وتعلق على الباب **הַאֲמִצִּיק לַפֶּדִיָּה הַיְּהוּדִית "דעת" ערך מזוזה**. وتعنى لافتة على الباب أو عضادة الباب، وهى بمثابة رقية تعلق على أبواب البيوت اليهودية، وهى عبارة عن صندوق صغير من الخشب أو المعدن أو الزجاج بداخله قطعة من رق (جلد حيوان) مكتوب عليها شهادة التوحيد اليهودية (الشماع) وهو ما ورد فى التثنية ٦/٤-٨ والفقرات الواردة فى التثنية أيضًا ٣/٧-١٨ وهى ترمز إلى تذكرة بنى إسرائيل بتنفيذ وصايا الرب. الشامى، رشاد، الرموز الدينية، مرجع سابق، ص ٧٩-٨١.

(٣) ظاظا، مرجع سابق، ص ١٤٧.

٣ — عربيت (المساء) ووقتها من غروب الشمس حتى يتم الظلام (العشاء).

وطقوس الصلاة في اليهودية تبدأ بالوضوء بغسل الأيدي فقط ثم يوضع شال صغير علي الكتفين أما صلاة الجماعة فيستخدم فيها شال كبير يتكون من ثمانية أهداب من الخيط أربعة من اللون الأبيض وأربعة زرقاء والأبيض والأزرق يرمزان إلي التعرف علي طلوع الفجر^(١).

وهذا الشال يلبسه اليهودي بعد بلوغه سن التكليف وهو ثلاث عشر سنه وعند موته يكفن فيه . وتغطية الرأس في الصلاة واجبة في الصلاة اليهودية احتراماً وتقوياً ، ويضع المصلّي في وسط جبهته التفلين وأخري علي الكف اليسري وترمز إلي الاهتداء بكلمات الاله المقدسة^(٢).

وكان قلة من المنتصرين يعرفون الكلمات العبرية الخاصة بالصلاة مثل طاليت "טלית"^(٣) وأيضاً كانت قلة من المنتصرين يعرفون صلاة الثمانية عشر ، شمنه عسريه "שמנה עשרה"^(٤).

ولم يكن المنتصرون يفصلون بين النساء والرجال في الصلاة ، واعتادوا أن يصلوا صلاة الشماع في معبدهم السرى مع رفع أذرعهم أو ضمها لصدورهم — كما في اليهودية — كذلك اعتادوا أن يغطوا عيولهم بأيديهم اليسرى ، ووضع اليد اليمنى على القلب ، ويوجهون صلواتهم إلى القدس .

(١) ظا ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .

(٣) شال الصلاة "طاليت" : ثوب يرتديه اليهود من الأرثوذكس والمخافطين ويعني (شالاً أو عباءة أو رداء) ويرتديه اليهود أثناء الصلاة فوق ملابسهم ، وهو من الملابس الضرورية لرجال الدين ، ولا يصلح إلا باكمال أهدابه تحقيقاً لوصية التوراة بصنع أهداب في أذيال ثياب بني إسرائيل ؛ لتكون علامة تذكركم بوصايا الرب وشرائعه (سفر ، العدد ٣٧/١٥ - ٤١) وللطاليت أحكام في الطهارة ، أهمها أنه لا تلمسه النساء ويخصص له مكان معين في المنزل ، وقبل ارتدائه ينبغي على اليهودي أن يخلو : "مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك العالم الذي قدسنا بوصاياه وأمرنا أن نتدثر بالأهداب" رشاد الشامي، الرموز الدينية اليهودية ، مرجع سابق، ص ٥٩ - ٦٤ و האיציקלופדיה היהודית דעת .

(٤) البركات الثمان عشرة : " أهم قسم في الصلاة بعد الشماع ، وضعها عزرا ، وورد أكثر ألفاظها وعباراتها في الكتاب المقدس وبعضها في المشنا وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام : تسابيح - توسلات - تشكرات . ظا : مرجع سابق ، ص ١٤٦ - ١٥٠ .

وأيضاً من وسائلهم في إخفاء شعائرهم أنهم كانوا يعلقون المزوايه على الباب الداخلي بمنازلهم على عكس ما يتم في العقيدة اليهودية بتعليقها خارج المنزل^(١).

محافظة المارانوس على شرائع الطعام في اليهودية :

حافظ اليهود المنتصرون على الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام **דשורה** بتطبيق عادات الذبح حسب قوانين الشريعة اليهودية **שחיטה דשורה** ؛ وكان للمارانوس جزارين يذبحون لهم اللحم ويوزعونه سرا^(٢).

وكان لهم سكن مخصص للذبح ، وعلقون الحيوان من قدميه بعد ذبحه ، لكي يخرج منه الدم طبقاً للشريعة اليهودية ، ويقومون بتعليق اللحم المذبح ، وطبقاً للشريعة اليهودية حرص المارانوس على عدم تناول السمك الأملس^(٣) ، ولم يستخدموا زيتاً مستخرجاً من الحيوانات لطهي أطعمتهم، وإنما يستخدمون فقط زيت الزيتون، وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم طهي اللحوم بزيوت حيوانية بل يستخدمون زيوتاً نباتية^(٤) ولم يكن للمارانوس أوان خاصة لفصل الأطعمة المستمدة من اللبن ومشتقاته عن الأطعمة الخاصة باللحم^(٥) . لكنهم لم يدخلوا الأطعمة المعتمدة على لحم الخنزير إلى بيتهم طبقاً لتحريمه في اليهودية ، وقد اكتشفت احكام التفتيشية ذلك، وكان هذا الأمر أحد الدواعي لإطلاق لفظ المارانوس اليهود أي الخنازير عليهم^(٦).

ويذكر أنه كان يوجد في عدد من الكاتدرائيات في العصور الوسطى رسم لصورة مجسمة لخنزيرة تدعى الخنزيرة اليهودية وتحت الرسم شرح مكتوب عليه :

(1) בירנבריים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הספרדי

www.makorishon.co.il ٧-٤-٢٠٠٧ .

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

(3) ظا ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(4) المرجع نفسه ، ص ١٩٨ ، وورد في سفر اللاويين ١٧ / ١٢ [لا تأكل نفس منكم دماً] ولأجل تطبيق هذه الشريعة كانوا يقومون بتعليق اللحم حتى يتأكدوا من خروج الدم منه .

(5) طبقاً للشريعة اليهودية يحرم على اليهودي أن يخصص أواني واحدة لأطعمة اللبن واللحوم، بل يجب عليه أن يجعل لكل منهما أواني طعام خاصة بكل منهما ، وهذا يتضح من الفقرة الواردة في العهد القديم والتي تقول : [

لا تطبخ جدياً بلبن أمه] سفر التثنية ٢١/١٤ .

(6) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים

" كما أن الفأر لا يمكن أن يأكل السفور ، كذلك لا يمكن لأى يهودى أن يصبح مسيحياً حقاً" وكان هذا الرسم منتشرًا في كثير من الكنائس الالمانية والسويسرية ^(١) .

إجراءات الزواج בשואים :

كانت الأمهات والجندات في الأسر المنتصرة ، هن المسئولات عن تنظيم أمور الزواج ، وكان المنتصرون يحرصون على الزواج فيما بينهم من داخل الأسرة ، حفاظًا على سرية الديانة بينهم بعيدًا عن المسيحيين ، وفي الوقت نفسه اتباعاً للشريعة اليهودية التي تحرم الزواج من الجوييم (الأغيار) .

وقد ظل المارانوس طوال سنوات عديدة على اتصال مباشر بنظرانهم في مختلف أرجاء العالم مثل إيطاليا ومناطق أخرى في أوروبا ، وأيضًا في الدولة العثمانية ، وذلك من أجل التزود بزيجات للمتصرين في العالم المسيحي ، وتذكر وثائق محاكم التفتيش أنه كان جزء كبير من هؤلاء الأزواج تجرى له عملية الختان ، وفي ليلة الزفاف لم يكن معتادًا إقامة علاقة جنسية حتى تتطهر العروس من دماء العذرية طبقاً للشريعة اليهودية ^(٢) .

عادات الدفن والعزاء מנהגי קבורה ואבלות :

مارس المنتصرون عادات الدفن والعزاء كما هو متبع في اليهودية ، ومنها أنه عندما يموت المنتصر اليهودي فكان يتم توجيه وجهه ناحية الحائط ، ويتم غسله بمياه دافئة ، ويتم تغطيته بقماش . وكان هذا القماش يتم استيراده من فرنسا وهولندا ، ويتم نسجه في مصانع تابعة لأشخاص من أصل يهودي .

وكانت عادة تمزيق القماش - حزناً على الميت - شائعة بين المنتصرين اليهود ، وبعد دفن الميت كانوا يتناولون بيضًا مسلوقًا جامدًا بلا ملح ، و يرمز إلى دورة الحياة ، أما عدم وجود ملح في الطعام فيرمز إلى التأكيد على مرارة فقدان الميت - وهى من التقاليد اليهودية - كما اعتاد المنتصرون القيام بما يسمى بطقس الـ "שבועה" أو الحداد سبعة أيام على روح الميت - وهو أيضًا تقليد يهودى - وطوال تلك الأيام السبعة كانوا يقبلون الصور تجاه الحائط ، ويفرغون أواني المياه لإخراج الأرواح الشريرة ، وعلى مدى السبعة أيام يتناول

(١) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٢) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

الأقارب والأصدقاء الطعام مع بعضهم البعض، ويتلون قداس الترحم أو ما يعرف بالـ "קדיש" ثلاث مرات في اليوم طوال ١١ شهراً وذلك أثناء صلاة الجماعة ^(١).

ممارسة المارانوس للأعياد اليهودية :

عيد الغفران أو الكيبور יום כפור :

يوم الغفران أو الكفارة هو العاشر من شهر تشري (أكتوبر) وهو يوم صيام ليلاً ونهاراً وهو يوم حساب النفس علي ما بدر منها من خطايا ويمثل هذا اليوم ذكرى دخول بختنصر أورشليم وتدميرها سنة ٥٨٦ لذا فهو أكبر أيام الحداد عندهم ، وفي هذا اليوم يعلن فيه اليهود نقصهم للعهد والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود ، ويجوز فيه أكل الديون التي علي اليهودي والرجوع عن كل وعد ^(٢).

وكان المنتصرون يصومون في ذلك العيد ، ويسمى عندهم يوم الصوم الكبير ، حيث اعتادوا في ليلته أن يطلبوا الغفران والسماح من أفراد العائلة والأصدقاء اليهود لغفران أي خطيئة حدثت خلال العام ، وكانوا يعدون وجبة الصوم "סעודה מפסקת" وتتكون من أسماك وخضراوات ، وبعدها يبدأون الصوم أما والددة الأسرة المنتصرة أو الجدة فكانت تقوم بالدعاء لهم ومباركتهم فيتم مباركة الأبناء بأن يكونوا مثل "أفراهم" و"إسحق" و"يعقوب"، أما الفتيات فتتم مباركتهن بأن يصبحن مثل "سارة" و"رفقة" و"ليئة" ، وقد اعتاد اليهود المنتصرون إقامة صلاة هذا العيد في المعبد السري ؛ حتى لا يتم الاشتباه فيهم و يقيمون شعائر الصوم والصلاة من أجل الغفران צומות ותפילות לבקשת מחילה . كما اعتادوا أن يبدأوا الصيام في الظهر ، ثم يخرج المصلون للتره في المدينة ^(٣).

(١) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים فيما يخص عبادات وتقاليدهم اليهودي في مراسم السفن والجنائز نذكر أنه بعد تشييع الجنازة تقام فترة للعزاء باسم "شيفع" ومعناها سبعة أيام لاستقبال وفود المعزين ، أما العادات التي يتمسك بها اليهود في أيام الحداد فهي نوع من الخرافة أخذت طريقها للزوال في العهد الحديث. الشامي : رشاد ، جولة في الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) ظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٣) ليסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים عيد الغفران عند اليهود هو أقدم وأهم الأعياد ويأتي في اليوم العاشر من الشهر السابع Tishri من التقويم اليهودي الذي ينقسم إلى اثني عشر شهرا هي :

عيد الفصح פסח :

هو عيد الضحية عندهم حيث يقدم فيه حمل أو شاه أو جدى ويرتبط هذا العيد بعجينة الفطير المفروضة فيه ، وهذا العيد يلتصق بالتهمة التى توجه إلى اليهود والمعروفة بتهمة الدم وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود تناوله فى فصيحهم قد جرت العادة أن يدخلوا فى عجنته دمًا بشريًا يأخذونه من ضحية يقتلوها من أمة أخرى غير اليهود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين . والظاهر أن هذه التهمة التى يوصم بها اليهود بدأت من عهد مبكر فى التاريخ ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجمع اليهودى فى الشرق والغرب مشاكل كثيرة ، فقد كان الحى الذى يسكنون فيه يهاجم ، وينتشر فيه القتل والتفكيك بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودى مجاور فى فترة عيد الفصح . وقد جاء فى المرسوم البابوى الذى أصدره البابا أنوسنت الرابع من بابا الفاتيكان فى الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٥٣ والخاص بهذا العيد :

"إننا نحرم أقام اليهود باستعمال الدم البشرى فى طقوسهم ، لأنهم مأمورون فى العهد القديم ألا يتجسوا أنفسهم بأى دم على وجه العموم ، فضلاً عن الدم البشرى" . إلا أن هذه التهمة ظلت لاصقة باليهود .^(١)

وقد اعتاد اليهود المنتصرون فى عيد الفصح ، شراء أوان جديدة ، ولم يكن هذا الأمر يثير الشك ؛ وذلك لأن الأواني التى كانوا يستخدمونها كانت من الفخار التى يسهل تحطيمها عند إفتضاح أمرهم ، وقد اعتادت النساء أن يخزن الفطائر الفصحية بأنفسهن ،

(تشرى "תשרי" - حشبان "חשוון" - كيسلو "כסלו" - طيب "טבת" - شفاط "שבט" آذار "אדר" - نيسان "ניסן" - آيار "אייר" - سيفان "סיון" - تموز "תמוז" - آب "אב" أيلول "אלול")
 האינציקلوپדיה היהודית (דעות) ערך לוח השנה העברית ٢٥-١-٢٠٠٧ وكلمة كبير כפור من أصل بابلي ومعناها "يطهر" ويوم الغفران هو يوم صوم لا يعمل فيه أحد إلا العبادة وهو اليوم الذى يندم فيه اليهودي على الذنوب والخطايا بالتكفير عنها بالصوم والصلاة والذبايح والأموال ورد المظالم لأهلها . وبحسب التراث الحاخامي ، فإن يوم الغفران هو اليوم الذى نزل فيه موسى من سيناء ، للمرة الثانية ، ومعه لوحا الشريعة حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم فى عبادة العجل الذهبى وهو يوم يعلن فيه اليهود نقضهم للعهد الذى قطعوهما لغير اليهود . (ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

(١) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

ويقرأون الترجمة اللاتينية للعهد القديم ، والخاصة بالجزء المتعلق بخروج بني إسرائيل من مصر، ويرتدي الشخص الذي يدير الطقس ملابس بيضاء ، ويستمر العيد لمدة من سبعة إلى ثمانية أيام^(١) .

غير ان اكتشاف المسيحي لأى مظهر من مظاهر عيد الفصح يقوم به اليهودى كان يعرضه لعقاب شديد ؛ لذا كان اهتمام اليهودى بأداء هذا الطقس بسرية شديدة وتكتم حتى لأقرب الناس إليه .

ومن الحكايات التى تعكس الممارسات السرية للمتصرين اليهود ووسائلهم فى التخفى فى احتفالهم بالأعياد اليهودية ، وتؤكدها الشهادات التاريخية الخاصة باعترافات محاكم التفتيش المسيحية قصة أسرة يهودية تنصرت ظاهرياً بينما كانت تقيم شعائر اليهودية سرّاً حيث أرادت هذه الأسرة أداء شعائر عيد الفصح فتحكى القصة :

" ان إحدى عائلات المتصرين أرادت الاحتفال بشعائر عيد الفصح حيث نزلت إلى مخزن مظلم متفرع من منزلهم لتأدية شعائر هذا العيد فى خفية ، بينما كان طفلهم الصغير برفقة بعض الخادومات المسيحيات - الذين كانوا لا يعلمون أن والديه من أصل يهودي - وفى المساء بدأ الطفل يبكي بشدة لمرضه ، ولم تستطع الخادومات أن تفعل له شيئاً ؛ فقاموا باستدعاء طبيب ، لكنه لم يستطع مداواة الطفل؛ فانتابت الخادومات حالة من الخوف على الطفل من الموت ، فقاموا باستدعاء الكاهن المسيحي لعلاجهم ، وعند وصوله اندهش الكاهن، وتساءل: ترى أين ذهب والدا الطفل؟ فبدأ يدلّف من حجرة لأخرى، وهو يذكر بعض أدعية الصلاة ، وحينما وصل إلى أقصى المنزل ، أثار انتباهه صوت أشعار موسيقية

(١) لیسک. ربקה שפך (ד"ר). להקדים הסטוריים يقع عيد الفصح فى الخامس عشر من شهر نيسان ، ويستمر سبعة أيام هو عيد الربيع عند اليهود ، ويحرم العمل فى اليومين الأول والأخير ، وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة ، أما الأيام الأربعة الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقترب ذلك بطقوس احتفالية كبرى ، والعيد فى أصوله البعيدة موصول بموسم الربيع باعتباره فترة نمو وازدهار وحياة جديدة ، ثم صار من بعد يرمز إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية فى مصر وخروجهم منها بقيادة موسى ، وهارون ويوشع ، ظاظا ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، وقد اقترن هذا العيد بتهمة الدم التى توجه لليهود حيث جرت العادة أن يدخلوا فى عجينة الفطير دماً بشرياً من أمم أخرى غير اليهود وهى قبة تلاحق اليهود كل وقت ومكان (ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ - ١٨٨) .

هادئة ؛ فأخذ يتحسس الحوائط حتى قادتته يده للمدخل السري، وحينما رأى المنتصرون المجتمعون الكاهن واقفاً على عتبة الباب السري، انتابهم الذعر خوفاً من العقاب ؛ فقرروا قتله، حينئذ أخذ الكاهن يوجه إليهم بسمة ترحاب حيث أخبرهم أنه مثلهم يهودي منتصر، وأن الخادما أفرغوه أثناء أدائه شعائر ليلة الفصح .

ويبدو أن هذه القصة هي قصة حسيديّة ، تنتمي للنوع الأدبي من القصص التي تعتمد على الإثارة ، والتي تنتهي بنهاية سعيدة عندما يتضح أن العدو اللدود ما هو إلا أوفى الأوفياء . والهدف منها إيصال رسالة أخلاقية ، باستخدام أحداث ووقائع محاكم التفتيش كخلفية تنسج عليها القصة، والدرس الأخلاقي الذي تهدف إليه القصة هو: " بالرغم من أن الاضطهاد قد يرغب اليهودي على ترك عقيدته ظاهرياً ، إلا أن قوة ما داخل اليهودي ، تجعله يحافظ على إيمانه في قلبه " (١) .

ويبدو من القصة أيضاً مهارة اليهود في التخفي وكنم الأسرار حتى ان العاملين بالمرل لم يكونوا يعرفون حقيقتهم اليهودية .

عيد البوريم פורים :

عيد البوريم يسمى عيد المساخر وفيه يسرفون في شرب الخمر ويلبسون الأقنعة وهو احتفال بمناسبة العودة من السبي البابلي في القرن الخامس الميلادي ويرتبط بقصة إستير التي سبق التحدث عنها .

ولم يعتبر المنتصرون "عيد البوريم" مناسبة سعيدة في العالم المسيحي الذي عاشوا وسطه ؛ وكما سبق القول فإن المنتصرون اليهود كانوا يشعرون بتطابق حالهم وبين القصة المقرائية المتعلقة بإستير ومردخاي ويهود فارس الذين عانوا من اضطهاد الوزير هامان الفارسي ، فملك فارس لم يكن يعرف أن إستير يهودية ، وقد صامت إستير ثلاثة أيام قبل أن تتوجه للملك بتوسلات من أجل إنقاذ اليهود (٢) فكان المنتصرون يصومون في هذه المناسبة ثلاثة أيام مثل صيام إستير ، ويستخدمون النسخة اللاتينية من سفر إستير لتلاوته في التاسع من

(1) he.wikipedia.org/wiki/ . אנוסים

(2) ליסק. רבקה שמק (ד"ר). לקחים הסטוריים

آب (أغسطس) "תשעה באב" ^(١) كما اعتاد المنتصرون صيام ذكرى خراب الهيكل الأول والثاني ، ويمتنعون عن تناول اللحم والطيور طوال ثلاثة أسابيع قبل الصوم ^(٢) .

عيد المظال סוכות :

عيد المظال أو الظلل ، عيد زراعي يحتفل فيه اليهود بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنه كلها ، ومدته تسعة أيام ، والتقليد في هذا العيد أنهم يقيمون في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر ، وفي اليوم السابع فيه يصلون صلاة استسقاء عند تأخر المطر؛ حيث يدخلون المعبد وفي يد كل واحد منهم غصن يضربون به على الكراسي؛ فتساقط أوراقه ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في العام كله .

واليهود المقيمون في أوروبا وأمريكا يكتفون بعمل مظلة من السعف تنصب في إحدى الشرفات بالمسكن يتناولون فيه وجبات الطعام فقط ولا يقيمونها في الهواء الطلق نظراً لشدة البرودة في هذه الأماكن . وبالنسبة للممارنوس فقد توقفوا عن الاحتفال بهذا العيد خوفاً من أن يكشف المسيحيون هويتهم الحقيقية كيهود إذا ما أقاموا في أكواخ واستخدموا السعف فيها حسب التقليد اليهودي ^(٣) .

(١) صيام التاسع من آب هو ذكرى سقوط أورشليم في يد تيتوس القائد الروماني وتخريب الهيكل الثاني الذي كان قد أقيم بعد العودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد على يد نحما وعزرا وزروبابل . (ظا ، حسن : مرجع سابق ، ص ١٩٠) .

(٢) ليسك. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים "בורם" פורים .

(٣) ليسك. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים عيد زراعي يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية ، يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشهر السابع Tishri ، بعد عيد الغفران بخمسة أيام ، ويستمر تسعة أيام . وعيد المظال ترجمة لكلمة "سوكوت" العبرية وتعني المظال ، وقد سمي هذا العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السلام" و"عيد البهجة" ، ومدته سبعة أيام ، والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر ، وكان هذا العيد في الأصل عيداً زراعياً للحصاد ، وكان يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنه كلها ؛ ولذا فإنه يسمى بالعبرية "حج ها آسيف" أي "عيد الحصاد" . موسوعة ويكيبيديا ، وظا ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

عيد رأس السنة ראש השנה :

عيد رأس السنة العبرية يسمى " روش هسانا " ويمتد ثلاثة أيام واليوم الرابع يوم صيام^(١). ولم يحرص اليهود المنتصرون على الاحتفال بهذا العيد خوفاً من اقتضاح أمرهم^(٢).

الחנוكاه חנוכה :

مارس اليهود المنتصرون الاحتفال بعيد الحانوكة بإشعال الشموع طيلة ثمانية أيام طبقاً للتقليد اليهودي فيه ، ويحتفل اليهود بهذا العيد تخليداً للذكرى انتصار المكابيين ، وتطهير الهيكل من رموز الديانات الأخرى غير اليهودية^(٣).

هذا وقد ظل المارانوس اليهود يتبعون دينهم الموسوى سرّاً ويمارسون شعائرتهم اليهودية في الخفاء وفي الوقت نفسه يظهرون الإخلاص للمسيحية ويؤدون الشعائر المسيحية .

وعلى الرغم من محاولات بعض المنتصرين المحافظة على أداء الشعائر اليهودية بأساليب ووسائل خفية إلا أنه مع طول مدة تخفيهم وسط مجتمع خارج عن دينهم تماماً ، بل معادياً له فقد كان لهذا الأمر أثره العميق على عقيدتهم نفسها، حيث اختفت شعائر يهودية مهمة، مثل : الختان ، والذبح الشرعي ، واستخدام شال الصلاة " الطاليت " " תפילין " ، وكذلك اختفت كثير من الأعياد واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تماماً عن دينهم الأصلي إلا من بعض المنتصرين كبار السن كانوا يحافظون على أداء الشعائر .

وقد كان هناك عنصران رئيسيان أديا إلى تدهور أحوال الطائفة السرية المارانوسية وانحلالها في النهاية :

(١) ظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

(٢) ليسك. רבקה שמק (ד"ר). לקהים הסטוריים وهو اليوم الأول والثاني من الشهر السابع (أكتوبر Tishri) من التقويم اليهودي، وهو يوم صيام وحزن وحداد على الأسر البابلي ، (ظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٨) .

(٣) ليسك. רבקה שמק (ד"ר). לקהים הסטוריים والחנוكاه هو عيد التدشين: (Hanukkah Chanukah) والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس وإعادته للشعائر اليهودية في الهيكل ، من هنا كانت تسميته بعيد التدشين. ويبدأ في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع Kislev ويستمر ثمان أيام ولياليهم ، والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع لمدة أسبوع كامل ، وفي هذا العيد كثير من اليهود يكتبون أشعاراً للتعبير عن الجهاد والشجاعة ، ظا ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

العنصر الأول : هو نقص الربانيين وعارفي الشريعة والعقيدة والمعلمين اليهود حيث نتج عن هذا قطع الصلات الدينية بين المنتصرين واليهود .

أما العنصر الثاني : فكان ازدياد نسبة الزواج المختلط بين اليهود المنتصرين والمسيحيين، الأمر الذي أدى إلى ضعف الصلة باليهودية نفسها (١)

ولأجل كشف محاكم التفتيش لوسائل تخفي المارانوس اليهود كانت تطالب الذين عادوا ليهوديتهم أن يقدموا اعترافاً كي ينقذوا أنفسهم واثروا، وعندما يعترفون ، كانوا يجبروهم على إظهار أسماء إخوانهم المنتصرين، وتقديم دليل على أنهم ما زالوا يهوداً ، وكانت تلك الاعترافات تتم داخل غرف التعذيب التابعة لمحاكم التفتيش في القرون الوسطى (٢) .

وسائل محاكم التفتيش في كشف تخفي المنتصرين :

استطاعت الكنيسة طبقاً لشهادات المعترفين بإخوانهم اليهوديين أن تنشر ٣٢ بنداً يمكن من خلاله التعرف على المنتصرين الذي عادوا ليهوديتهم وكانت كالتالي:

- ١- إذا قام بتقديس يوم السبت .
- ٢- إذا غير ثيابه يوم السبت بثياب جديدة وقمصان نظيفة.
- ٣- إذا قام بتغطية المائدة بغطاء يوم السبت .
- ٤- إذا لم يشعل نيراناً يوم السبت .
- ٥- إذا تناول وجبة السبت و المسماة " الدفينة " أو "السخينة" חמדה .
- ٦- إذا توقف عن ممارسة عمله يوم السبت .
- ٧- إذا تناول لحماً أيام الصيام المسيحي .
- ٨- إذا صام في عيد الغفران .
- ٩- إذا خرج في يوم الغفران بصندل أو جورب أو حتى حافياً .
- ١٠- إذا طلب يوم السبت من أخيه الصفح والمغفرة .
- ١١- إذا احتفل بعيد الفصح متناولاً البقول والقطير.

(١) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה. מעוף ומעשה. חוברת ٥، ١٩٩٦
 אנוסים ושבתאים האופציה שך דתיות כריזمטית. web.macam.ac.il ٣٠-٣-٢٠٠٧ .

(٢) האינציקלופדיה היהודית "דעת".

- ١٢- إذا أقام في مظال في عيد المظال.
- ١٣- إذا وجد معه في عيد المظال أتروجه "אתרוג" أو شعانين "לולב" (١).
- ١٤- إذا تزوج عدة نساء كحال شريعة موسى .
- ١٥- إذا دعا نفسه باسم إسرائيلي .
- ١٦- إذا قام بختان أبنائه .
- ١٧- إذا اغتسل في اليوم السابع من مولده ، وهذا ما يفعله اليهود في ذلك اليوم ففي الليلة السابعة بعد الولادة كانوا يملأون الأواني بالماء ، ويلقون فيها قطعًا ذهبية فضية ولؤلؤًا وأحجارًا كريمة، يغسلون به الوليد .
- ١٨- إذا فرش رغيف الخبز العجين قبل خبزه .
- ١٩- إذا بارك الكأس في وجبته ومرره على كل الموجودين .
- ٢٠- إذا غسل يديه قبل الصلاة .
- ٢١- إذا بارك قبل ذبح حيوان أو طير.
- ٢٢- إذا غطى دم الذبيحة من الحيوان أو الطير بالتراب .
- ٢٣- إذا أزال العروق من لحم الجديان .
- ٢٤- إذا قام بتمليح اللحم لإخراج الدم منه .
- ٢٥- إذا لم يأكل الخنزير أو الأرنب .
- ٢٦- إذا غسل الوليد بالماء بعد دخوله في العهد المسيحي .
- ٢٧- إذا سمى أبناءه بأسماء العهد القديم .
- ٢٨- إذا بارك أبناءه بوضع اليد عليهم .
- ٢٩- إذا لم تزر النساء اللاتي ولدن المعابد إلا بعد أربعين يومًا من طهارتهم .
- ٣٠- إذا قام بإراحة المختضر تجاه الحائط .
- ٣١- إذا قام بغسل جسمه بالمياه الدافئة .

(١) الشعانين بالعبرية לולב سعف النخيل نوع من الأنواع الأربعة من النباتات التي يجب أن تكون مع اليهودي في عيد المظال، والاتزوج ، وهو نوع من الليمون ، وكذلك الريحان הדס والصفصاف ערבה .
(موسوعة دعت اليهودية) www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp

٣٢- إذا لم يصف بعد قراءة تراتيل الصلاة عبارة "باسم الآب والابن والروح القدس" - كما بالمسيحية - وبمرور الوقت أضيف علي تلك القواعد فقرات إضافية^(١) . وكان من حق المتهم أن يتوب ويعترف بدخوله المسيحية في مدة لا تتجاوز الأربعين يوماً وهذا الاعتراف لابد وأن يكون مكتوباً ، ويشهد عليه شهود "עֲדָיִם" ، وعلى المعترف أن يرد على أسئلة تتعلق بمكان وزمن قهوده ، وكم من الوقت ظل على يهوديته . أما هؤلاء الذين يعترفون بعد مضي أربعين يوماً ؛ فكان يتم مصادرة ممتلكاتهم أو يتم سجنهم كل حسب درجة ومقدار جرمه .

وبالنسبة للشباب الذين تقل أعمارهم عن سن العشرين، والذين أخبروا أن آباءهم هم الذين فرضوا عليهم الديانة اليهودية ، فكان لا يتم مصادرة ممتلكاتهم ، أما الذين يعترفون بعد صدور الحكم ضدهم ، فيتم قبولهم في الكنيسة المسيحية لكن يحكم عليهم بالسجن للأبد ، أما الذين اعترفوا بكلمات قليلة ، فيتم حرقهم على الموقد . وإذا كان من الصعب إثبات خطيئة أحد المتهمين كانوا يقومون بتعذيبه ، وإذا اعترف عن طريق التعذيب ؛ فإنه يحكم عليه بالموت^(٢) .

ومن خلال اعترافات بعض المنتصرين ، اتضح أنه كان هناك داخل هذه الطوائف ربايون خبراء بشريعة موسى ، يجتمعون كل يوم بعد الظهر لأداء الصلاة ، وجزء من هؤلاء اليهود المنتصرين كانوا محتونين ، وقد تم التعرف عليهم من جانب محاكم التفتيش في مكسيكو سيتي حيث تم إصعادهم على الموقد لإحراقهم في أحد طقوس محاكم الإيمان أو الـ "אִשְׁמֹרֶת דֵּה סֶה" واتضح أنه كان من بينهم ٥٧ محتوناً^(٣) .

ولم يكن يذهب من المارانوس للاعتراف إلا قليل ، وكانوا إذا ذهبوا إلى الاعتراف لا يعترفون بتهودهم الباطني . وأثناء زيارتهم للكنيسة يمتنعون عن مشاهدة الخبز المقدس حين يتلقونه ، ويسرعون ببصقه فور خروجهم منها.

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה

(٢) האינציקلופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה.

(٣) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). לקחים הסטוריים .

ولأجل الخلاص من التعقب المسيحي كان المنتصرون يهربون عن طريق السفن إلى العالم الجديد "الأمريكتين" أو إلى أوروبا إلا أن احكامم ورجال التفتيش كانوا يتعقبوهم ويكتشفون أمرهم^(١).

(١) ليسك. ربקה شפק (د"ر). לקחים הסטוריים.

المبحث الثالث

التخب اليهودية بين المعارضة والتأييد

من الأمور المدهشة التي قام بها المنتصرون - حرصاً على ممتلكاتهم ، وحفاظاً على مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية في الدولة ، واستمراراً لمراءاتهم للملوك والنبلاء ورجال البلاط المسيحي ، أنهم قاموا بخيانة ذويهم من أبناء ملتهم تقريباً للملوك ، حيث قاموا بتشجيع المذابح التي وقعت عام ١٣٩١ ضد اليهود ، ورأوا في هذه المذابح ، الانتقام الإلهي من اليهود الذين أهدروا دم المسيح ، وكان على رأس هؤلاء الحاخام اليهودي "سليمان آل ليفي" الذي حول اسمه إلى "بول دي سانتا ماريا" ثم تحول إلى أسقف في المسيحية ، حيث طارد إخوانه في الدين دون هوادة ^(١) .

كما نجح عدد من المنتصرين اليهود في إقامة علاقات وثيقة مع "المسيحيين الجدد" في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وبلجيكا ، وأيضاً مع "اليهود الجدد" أي الأشخاص الذين عادوا إلى عقيدتهم اليهودية في الشمال الغربي لأوروبا ، والإمبراطورية العثمانية ، ونتجت عن هذه العلاقات صلات تجارية ربطت بين كل هذه الأطراف ، كما تمت بينهم علاقات أسرية ، وعن طريق تلك العلاقات تم تجميع أموال لأغراض مختلفة كفدية للأسرى الذين يتمنون "للعرق" اليهودي ، والذين تم توقيفهم من قبل قُطاع الطرق البرابرة ، وكذلك لتمير أموال إلى هولندا لمساعدتها في حربها في إسبانيا ، بالإضافة لمساعدتهم لليهود في أرض فلسطين ، وأيضاً لأجل رشوة رجال السلطة المسيحية ومحاكم التفتيش ، وغيرها ^(٢) .

وكان ينتسب للمارانوس عدد من الشخصيات اليهودية البارزة وبعض الحاخامات اليهود ، منهم من صار عدواً لأهل دينه وأصوله حفاظاً على ممتلكاته ومصالحه ومنصبه في البلاد . ومنهم من كان مؤيداً لليهودية ومدافعاً عن حقهم في أداء شعائرتهم . وتظهر تلك الشخصيات مدى تذبذب شخصية هؤلاء المنتصرين بين المسيحية واليهودية ، فمنهم من فقد هويته تماماً تقريباً للمسيحية ، ومنهم المدافع عن دينه وعن اليهود ضد التنصر القسري .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٢) ليسك. רבקה שפך (ד"ר). לקחים הסטוריים

أولاً : المنتصرون المناهضون "مومרים" لليهود في إسبانيا والبرتغال :

١. موسى السفراي " משה ספרדי " : عُرف باسم "بيتروس ألفونسو" "פיטרוס אלפונסו" وهو أول من قام بتأليف كتب معادية لليهود والمسلمين ، وكان طبيياً وتحول عن عقيدته اليهودية في عام ١١٠٦^(١) .

٢. دونين الروشويلي الفرنسي " דונין מן רושיל בצרפת " : عُرف بعد تنصره باسم "نيقولاس" "ניקולאס" وهو الذي أخبر البابا غريغوري التاسع "גריגורי התשיעי" أن التلمود مليء بفقرات تمجيد المسيح والمسيحية وتستبيح دماءهم - وعلى إثر هذا تم ملاحقة الرابانيين ، والدخول في مناظرات معهم وإحراق كتب التلمود^(٢) .

٣. بابلو كريستيانى المونتفيري "פאבלו כריסטיאני מן מונטיפلير" : اشتهر بمناظرته المعروفة مع موسى بر نحمان المعروف بـ رامبان "הרמב"ן" والتي أجريت عام ١٢٦٣ ، وكانت مهمة هذا المنتصر اليهودي المراقبة والإشراف على كتابات الرابانيين ، ومحو أي حرف يتعلق بمهاجمة المسيحيين ، كما اشتهر بعلاقته الوثيدة مع البابا "كليمنس الرابع" والتي كان ينقل فيها وشايات عن اليهود وتلمودهم^(٣) .

٤. أفنير البورجوشي "אבנר מבורגוש" وهو الذي أخبر الملك ألفونسو الحادي عشر "אלפונסו הי"א" بأن صلاة العميدا اليهودية تحتوي على دعاء يسمى المينيم "ברכת המינים"^(٤) وهو دعاء اللعنات على الملحدين أو الكفار يتلوها اليهودى كل يوم وقد قام أفنير بمناظرة أجراها مع الرابانيين المبعوثين من كل الطوائف اليهودية لأجل حذف ذلك الدعاء من صلاة العميدا . وقد اشتهر القديس أوغسطين بإقامة صلاة لأجل اليهود نصها : "أيها الرب العزيز القدير الخالد الذي وسعت رحمته حتى الكفرة والملحدين من اليهود ، اسمع صلواتنا لصالح ذلك الشعب الأعمى ، واجعلهم يهتدون إلى نور الحق الذي

(١) האינציקلوپדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(٢) المرجع نفسه .

(٣) האינציקلوپדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(٤) هو الدعاء الثانى عشر في صلاة الثمانى عشر ، وهي واحدة من الثلاثة عشر دعاء لصلاة الثمانى عشر ، وهي دعوة بالقضاء على أعداء إسرائيل والملحدين . המלון החדש הוצאת קריית ספר ירושלים ١٩٨١ ، מין .

هو المسيح ، دعونا نصلي لمصلحة أولئك الناس من غير المؤمنين (من الغادرين الخونة) اليهود ، وندعو لسيدنا ومخلصنا يسوع أن يرفع الحجاب عن قلوبهم ، حتى يعترفوا بربنا ومخلصنا يسوع المسيح " .

وقد أمر البابا يوحنا الثالث والعشرون بحذف كلمة (الغادرين الخونة) من تلك الصلاة.^(١)

٥. يوهان الولدوليدي " **יוהן מן ואלאדוליד** " : كان مسئولاً عن إجبار كثير من اليهود على دخول المسيحية ، كما قام بتأليف كتب تهاجم اليهود.

٦. شلومو ليفي البورجوشي " **שלמה לוי מבורגوشي** " : ويطلق عليه في مصادر أخرى "سليمان آل ليفي" من أشهر النماذج المعادية لليهود أبناء دينه من أجل الوصول لأعلى المناصب ، وكان حاخاماً يهودياً ثم أصبح أسقفاً مسيحياً ولد في برغش عام ١٣٥٠م ، وعمل أستاذاً في اللاهوت في باريس عام ١٣٩٦ ، وكان كاهناً قانونياً في برغش ، وقساً خصوصياً لأنريكي الثالث ، وصديقاً مقرباً للبابا بندكتو الثالث عشر ، وحظي بمكانة رفيعة عند الملك أنريكي الثالث ، ولأجل الحفاظ على ممتلكاته وصلاته بالملوك ورجال الدولة ، أعلن تنصله من اليهودية علناً وهاجم اليهود في كل مكان.. وتلك قدرة قلما تتوفر في غير اليهودي^(٢). عرف بعد تنصره باسم " **באול די سانتا ماريا "פאול די סאנטא מריא"** و كان ضليعاً في التلمود ، ووصل لرتبة كبير أساقفة قرطاجنة ، ومستشار في بلاط الملك هنري الثالث " **הנרי השלישי** " في قشتالة بعد أن كان حاخاماً يهودياً واشتهر بمهاجمته للتلمود ، وتأليفه حكايات مليئة بالسخرية عن رباني إسبانيا^(٣).

وباول دي سانتا ماريا من أبرز الشخصيات التي مثلت تناقضاً واضحاً وازدواجاً بيناً في طبيعة الشخصية اليهودية والقدرة الفائقة على التلون ، فهو الحاخام اليهودي ، والكاهن المسيحي في نفس الوقت ، واليهودي المطارد لشعبه ، والمسيحي الموالي للكنيسة ، حيث تحول إلى المسيحية هو وأفراد عائلته - أبنائه الأربعة وابنته وإخوته الثلاثة وزوجته - في عام ١٣٩٠ فأصبح كاهناً مسيحياً وأسقفاً .

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٢) كاسترو : مرجع سابق ، ص ٦٠٦ .

(٣) **האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"**

وقد كتب "باول" خطاباً يشرح فيه الأسباب التي أدت إلى تنصره، يبين فيه أنه حينما يتعمق الإنسان في الشريعة الشفوية والعهد القديم سيجد علامات تدل أن عيسى هو المسيح، بينما كان السبب الحقيقي في تنصره هو الوصول إلى الدرجات الرفيعة في القصر الملكي، والتحكم في مملكة قشتالة. ويذكره المؤرخ كاسترو إزاء وصفه لهذه الشخصية " أنه الشخصية الكارثة التي تمثل عضو محكمة التفتيش الذي يطارد شعبه" ^(١).

ويصف كاسترو موقف باول دي سانتا ماريا الذي اتخذ إزاء يهود إسبانيا بأنه يتسم بالخسة الكاملة مهما كانت التبريرات ^(٢). حيث قيل أن ما قام به من أفعال ضد اليهود كانت من أجل الحفاظ على حياته.

وقد سافر باول إلى باريس عام ١٣٩٤، حيث أصبح قسيساً، ونال حظوة لدى البابا بنديكت الثامن. ثم بدأ حملته ضد اليهود محاولاً إقناع ملك أرجون بأن يصدر قوانين معادية لليهود ^(٣). ومن جانب آخر فقد تبوأ مكانة مميزة في التعميد المسيحي فكان الأب الأسمي في التعميد المسيحي. ومن الغريب أن باول كان يردد دائماً أن كافة المسيحيين الجدد أي المنتصرين هم "أهل شر". ويشير إليهم بأعداء سيطر عليهم الشيطان!!

ويلاحظ أن معظم القوانين الصادرة ضد اليهود عام ١٤١٢ قد استلهمت وكتبت على يديه أثناء حكمه على قشتالة، حيث هاجم رجال الدين اليهودي ووصفهم بالجهل ^(٤).

وكان اعتناق باول سانتا ماريا للمسيحية الطريق الوحيد لوصوله إلى درجة رفيعة في القصر الملكي، حتى إنه أصبح عضواً بمحكمة التفتيش، وطارد إخوانه في الدين في كل مكان، واستطاع باول سانتا ماريا أن يحيط تنصره بسياج من التأكيد على إخلاصه للمسيحيين، حيث أثنى على المذابح التي جرت لليهود عام ١٣٩١ م، وقال بأن الله هو الذي أثار الشعب ضدهم للانتقام لدم المسيح ^(٥).

(١) كاسترو، مرجع سابق، ص ٦٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٠٦.

(2) Pablo de Santa Maria: The Purim Letter and Siete edades del mundo By Judith Gale Kreiger Originally printed in the Fall issue of HaLapid ١٩٩٨

(٤) كاسترو: مرجع سابق، ص ٦٠٦.

(٥) كاسترو، مرجع سابق، ص ٦٠٦-٦٠٨.

وحمل أبنائه وأحفاده لقب "سانتا ماريا" حيث تمتعوا بمكانة متميزة في القرن الخامس عشر في المجتمع المسيحي؛ وظهر منهم قسيسون وأوصياء وأساقفة، وكان السبب الرئيسي في اعتناق أسرة باول للمسيحية، هو رغبتهم في استمرار مصالحهم لدى البلاط والكنيسة^(١).

٧- يوسف اللورقي "יוסף אללורקי": عرف باسم الراهب "جرونيمو دي فانتا بي" "גרונים די פאנטא פי" وكان يعمل طبيباً ومستشاراً في بلاط الملك بنديكت الثالث عشر "בנדיקט הי"ג" وقد عرف بمناظراته الشهيرة مع الربانيين اليهود حول حقيقة يسوع المسيح والكتب المقدسة كالعهد الجديد، وقد استمرت هذه المناظرات على مدى ٢٤ شهراً، وتحديداً منذ فبراير ١٤١٣م حتى شهر نوفمبر ١٤١٤م كما قام بتأليف كتب تعج باقحام اليهود وكشف تخليهم عن وعودهم عن طريق صلاة يهودية يؤدونها تسمى صلاة كل نذوري "כל נדורי" وهذه الصلاة عبارة عن إعلان من الشخص اليهودي عن إلغاء كل الأقسام والوعود والنذور التي قائلها قبل صلاة مساء يوم الكيبور^(٢).

٨ - ليفي بن شيم طوف "לוי בן שם טוב": عُرف بعد تحوله للمسيحية بـ "بيدرو دي لا كابلا ريا" "פידרו די לא קאבאלيريا" وقد عمل مستشاراً في بلاط مانويل "מנואל" ملك البرتغال في عام ١٤٩٧م، وكان من ضمن أعماله البحث عن أطفال اليهود، والقيام بتعميدهم رغماً عن عائلاتهم^(٣).

٩ - هنريك نونيس "הנריק נונים": عرف بعد تنصره باسم "دي بيرما بي" "די פירמא פי" وكان معروفاً بأقواله التي هاجم فيها الأنوسيم أو المنتصرين علناً، بالإضافة إلى أنه كان أحد مشجعي الملك كارل الخامس "קרل الخامس" بإنشاء محاكم التفتيش البرتغالية وكان معروفاً باسم المقدس "קדוש" عند المسيحيين (Martyr)^(٤).

(١) نفسه، ص ٦٥٨.

(٢) يرجح زمن تأليف تلك الصلاة، إلى فترة الجلاءونيم، وأنها كان يتم قولها باللغة الآرامية لغة الحديث عند كثيرين من اليهود في تلك الفترة، وقد تم ذكر التوراة في التلمود (he.wikipedia.org كل_נדري).

(٣) האינציקلوپדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(٤) האינציקلوپדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל".

١٠- سيكستوس منسيناي " سيكستوس من سيناء " وفيليب مورو " وفيليب
 ١١- وهما اللذان قاما تحت رعاية البابا باول الرابع " فاولو הרביעי " بتشجيع اليهود
 على التحول إلى المسيحية، فكان "سيكستوس" ، يحث اليهود على إحراق كتب التلمود
 على الموقد الذي صنعه بنفسه ، أما "فيليب" ، فقد اقترح أحد المعابد اليهودية ذات يوم
 ووضع بداخلها تمثالاً لأحد القديسين المسيحيين أثناء يوم الكيبور معلناً تحدياً لقداسة هذا
 العيد عند اليهود ^(١).

١١- المنتصر ألكسندر " אלכסנדר " : اشتهر بأقواله المعادية لليهود ، والتي كان
 يقولها في حضور البابا بيوس الخامس " פיוס החמישי " وكان من ضمن مؤيدي الحكم
 بطرد اليهود من البرتغال عام ١٥٩٨ م ^(٢).

١٢- فرأى ألونسو دى إسبينا : من الشخصيات اليهودية التي كان لها دورها في
 مجريات الأحداث الدامية والوشاية ضد اليهود هناك ، وكان يشغل رئاسة جامعة سلمنقة ،
 حيث هاجم اليهود في كتاباته وكان أحد الأعضاء البارزين في المجلس الأعلى لحاكم
 التفتيش، وهو الذي أبلغ الملك أنريكي الرابع أن في مملكته هرطقة كبرى أطلقها المتهودون
 الذين لا يزالون على الطقوس اليهودية ، وأنهم يحملون أسماء مسيحية وفي الوقت نفسه
 يقومون بختان أولادهم ، وقدم ألونسو طلباً بمعاينة هؤلاء المتهمين وجاء في أحد كتاباته :
 "إذا تم في عصرنا هذا عقد محاكم تفتيش فسوف يكون عدد الذين يتم حرقهم كثير من
 المتهودين" ^(٣).

ويتضح مما سبق مدى الكراهية التي تختلج صدور رجال الدين اليهودي تجاه إخوانهم
 وأبناء دينهم في سبيل إعلاء مصالحهم .

وكل هؤلاء اتخذوا من الوشاية ضد إخوانهم اليهود طريقاً للتقرب إلى الحكام المسيحيين
 وهو الدور الذي كانوا يمارسونه من قبل في حارات اليهود ^(٤).

ثانياً : نماذج الشخصيات المنتصرة التي دافعت عن اليهود ولم تتضح هويتها الدينية :

١- منسى بن إسرائيل " מנשה בן ישראל " (١٦٠٤ - ١٦٥٧) :

(١) المرجع نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٨ .

(٤) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٨ .

من يهود المارانوس ، كان حاكماً و كاتباً له عدة مؤلفات ، اشتهر بالشخصية المركبة والمزدوجة بين الغرب المسيحي والتقاليد الدينية اليهودية . كان يؤمن بالفكر القبالي والعقيدة المسيحانية ^(١) ، ويعتقد أن مجيء المسيح لن يتحقق إلا إذا تشتت اليهود في كل مكان في العالم ، وكان على اتصال بيهود المارانوس في إنجلترا ، حيث دعا لتوطين اليهود في إنجلترا ، وقد أبدى " كرومويل " تسامحاً معه ، بهدف استثمار اليهود في أمور التجارة والتجسس والاتصالات الدولية. وقد ظهرت عقيدته في مؤلفه " الدفاع عن اليهود " حيث بين فيه أن الدين لا بد وأن يكون مسألة اختيارية ، ولا ينبغي للسلطات الدينية إجبار أحد على اتباع دين معين ^(٢) .

٢- إسيبنوزا " ברך שפינוזה " (١٦٣٢ - ١٦٧٧) :

من يهود المارانوس ومن أبرز الشخصيات اليهودية التي افتقدت هويتها الدينية وكانت لها مكانة مرموقة في الفلسفة اللاهوتية ، وهو ممن لم يكن لهم انتماء إلى المسيحية ولا اليهودية حاملاً لواء الإلحاد. ويؤمن إسيبنوزا بالظاهر والباطن ، ويعتقد أن اليهودية دين الظاهر والمسيحية هي دين الباطن ، وكان من المؤمنين بالطبيعة ^(٣) . ويعتقد إسيبنوزا أن المسيح يتصل اتصالاً مباشراً بالرب ، في حين أن موسى النبي كان اتصاله بالإله من خلال واسطة ، مما دعا البعض بالقول أن إسيبنوزا كان مناصراً للمسيحية على حساب اليهودية. ويرى إسيبنوزا فيما يتعلق بيهود المارانوس "أنهم اختلطوا بالأسبان إلى حد لم يبق منهم معه بعد وقت قصير شئ حتى الذكرى" ، ويقول : أما الذين عاشوا منهم في البرتغال وأجبروا على تغيير دينهم فقد عاشوا منعزلين بعد استبعادهم من جميع المناصب ^(٤) .

ونجد أن إسيبنوزا لا يرى في هؤلاء المنتصرين انتماء لليهودية نتيجة اختلاطهم بالأسبان المسيحيين وانعزالهم إلى جانب عدم اكتراثهم بأمور الختان المفروضة شرعاً عليهم .

(١) الفكر القبالي مأخوذ من عقيدة القبلاء التي تعرف بالتصوف اليهودي وهي التي ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي وتعتمد على كشف أسرار العلاقة بين الخالق والمخلوقات والتوحد بين الخالق والفرد اليهودي . وتدعو هذه العقيدة إلى إعلاء الإنسان اليهودي على كافة البشر وتدعو أيضاً إلى إسقاط كافة الشرائع .

(2) wikipedia.org **מנשה בן ישראל**

(3) wikipedia.org **ברוך שפינוזה**

(4) إسيبنوزا ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

الفصل الثالث

معضلات الدمج والنبد بين المارانوس ونظرائهم

أسهمت المطاردات العنيفة لليهود المنتصرين من قبل المسيحيين إلى بروز غط جديد في أوضاع هؤلاء اليهود حيث بدأوا في تكوين تنظيمات جديدة ضد الأحكام الصارمة التي طبقتها محاكم التفتيش ضدهم بعد فشلهم في الاندماج بين صفوف المجتمع المسيحي الكاثوليكي ، الأمر الذي أدى بهم إلى الاندماج في جماعات مسيحية في القرن السادس عشر - وذلك بعد مرحلة القرون الوسطى وبدايات العصر الحديث - وكانت هذه الجماعات معارضة للمجتمع المسيحي الكاثوليكي مثل حركة الإصلاح البروتستانتي وحركة المورثيم "המורארים" "Alumbrados" أو المتورين ^(١) .

وتكشف وثائق محاكم التفتيش أفكارًا لوثرية تحررية ^(٢) ، وتأثيرات تنويرية لجماعة المورثيم التي دخلت وسط المنتصرين الجدد ، كنتيجة للتعنت الكاثوليكي ، حيث انضموا إلى جماعات و فرق مسيحية أخرى مناهضة للمذهب الكاثوليكي السائد في المجتمع مثل المذهب البروتستانتي المعادي للكاثوليكية ^(٣) .

(١) כהנאב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה . حركة المتورين حركة إصلاحية صوفية مسيحية ظهرت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر نتيجة للسياسة التي اتبعتها الكنيسة الكاثوليكية (wikipedia.org) .

(٢) هي الأفكار التي نادى بها مارتن لوثر وكان كاثوليكيًا وقف موقفًا معارضًا لبيع الملوك صكوك الغفران . (wikipedia.org) . ولد مارتن لوثر عام ١٤٨٣ في ألمانيا ، تخصص في الدراسات اللاهوتية كان قسيسًا مخلصًا للكنيسة ، حتى أنه ذهب إلى روما للترك ورؤية القديسين والزهاد ، فهاله ما رأى من دعاوى غفران الذنوب وامتلاك سر التوبة وحق منح صكوك الغفران ، فوقف معارضًا ومستنكرًا لمظاهر الانحلال والفساد الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة ، وكتب وثيقة الكنيسة ودعا إلى إشراف الحكومة على الكنائس وانتشرت مبادئه انتشارًا كبيرًا ، إلا أنه لاقى صعوبة في تحقيق دعوة الإصلاح الكنسي ، توفي عام ١٥٤٦ خلفًا مجموعة من الكتب والمؤلفات التي حملت دعوته . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ص ٦١٥-٦١٦ .

(٣) כהנאב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה . والبروتستانت فرقة من النصرانية عارضت الكنيسة الغربية ، وعارضت كل من يخالف الإنجيل ، إذ يتبعون الإنجيل دون سواه ويعتقدون أن الكل متساوون أمامه ، بدأت في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها ، ثم تحولت إلى حركة إصلاحية داخل

وكان المنتصرون الجدد يفضلون الإقامة بالأديرة الرهبانية المسيحية ، باعتبارها ستارًا يخفون من ورائه ممارستهم لشعائهم اليهودية .

وكانت الطريقة الرهبانية الجرونيومية " 7257 7777 7777 " ^(١) هي المفضلة لدى المنتصرين اليهود حيث تتسم هذه الطريقة بممارسة الراهب رهبته فيها بشكل منفرد ، دون الدخول في جماعات من الرهبان الآخرين ؛ لذلك فضل المارانوس اتباع هذه الطريقة في أدائها لعبادتها ^(٢).

وقد انتشر المارانوس اليهود بعد خروجهم من إسبانيا - سواء طردًا أو فرارًا - في جميع أنحاء العالم حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك في تركيا ، حيث القوة اليهودية التي كانت موجودة في هذا المكان في ذلك الوقت - والتي تعرف بيهود الدوغة أو الشبتانيين ، حيث شكلوا نخبة قوية بانضمامهم إلى هؤلاء الشبتانيين المماثلين لهم فكريًا وعقائديًا ، وكانوا يتوطنون تركيا ، ويهيمنون عليها سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا . حيث اختفى المارانوس اليهود من إسبانيا ، بينما استمر وجودهم في البرتغال حتى القرن العشرين يقيمون شعائهم اليهودية خفية ، كما اتجهوا إلى إنجلترا وهولندا وفرنسا .

وتحاول بعض الجماعات اليهودية - خصوصاً في إنجلترا حيث يوجد يهود كثيرون من أصل برتغالي - أن يهودوا المارانوس اليهود ويدخلوهم حظيرة اليهودية العلنية . كما بذلت الإليانس ^(٣) جهوداً كبيرة في هذا المضمار، واتصلت بهم الوكالة اليهودية مؤخراً، وبدوا أنها أقنعتهم بالتهود والهجرة إلى إسرائيل. وهذا يعني بالنسبة لهم حراكاً اجتماعياً ؛ لأن معظمهم فقراء يعملون بائعين متجولين ^(٤) .

= الكنيسة ثم إلى حركة عقائدية مستقلة من أبرز مؤسسيها مارتن لوتر . الموسوعة المسيحية في الأديان والمذاهب ، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٦١٥ .

(١) الجرونيومية طريقة أسسها يهودى منتصر يدعى جرونيوفاتاي ، كان طبيباً ومستشاراً للبابا بنديكت . وتتميز تلك الطريقة بالانفراد في العبادة بالأديرة (wikipedia.org) .

(٢) כהנור עזר (7777) המכללה האכדמית אחבה .

(٣) الإليانس جمعية يهودية تأسست في فرنسا عام ١٨٦٠م بهدف منها مساعدة اليهود في كل مكان ، والدفاع عنهم ، وتنمية المجتمعات اليهودية عن طريق التعليم والتدريب ، ونشر حركة التنوير الأوروبية بين يهود العالم ، وتدعيم النشاط التعليمي للمستوطنين اليهود في كل مكان ، وجمع المال اللازم لهم . محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، عدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤م ، ص ٦٢ .

(٤) المسيرى : مرجع سابق ، مجلد ٢ / جزء ٢ ، باب ٢ .

المبحث الأول

علاقة المارانوس بالحركات اليهودية المسيحانية

من أهم الأسباب التي أدت إلى معاداة الحاخامية اليهودية للمارانوس هو الدور الذي قام به المارانوس تجاه الحركات المسيحانية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ، فقد أدى الشعور بالخوف من محاكم التفتيش واضطرار المنتصرين اليهود إلى إخفاء عقائدهم وازدواجية هويتهم الدينية إلى الاتجاه إلى الإيمان المجرد غير الملزم بأى شعائر أو عبادات ، حيث ساهم المارانوس اليهود في نشر الرعة المسيحانية التي تعوضهم عن الشعور بالانفصال عن المجتمعات ، وكان هذا الاهتمام هو الذى أدى بهم إلى الاندماج في حركات مسيحانية أخرى ونشر أفكارها ومعتقداتها ، ومن تلك الحركات التي اتصل بها المارانوس واختلطوا بها حركة الشبتائيين أو يهود الدوغمة التي ظهرت في تركيا على يد مؤسسها شبتاي بن تسفى الذى أعلن أنه المسيح المنتظر ، وأعلن إسلامه ونادى بإسقاط الشريعة ، وتبعه جم غفير من اليهود في جميع أنحاء العالم .

وكان اليهود في أى مكان - كلما وقعوا تحت حكم دولة ما - يترسمون الخطى التي تساعدهم على البقاء في سلام ، فنجدهم يعتنقون المسيحية في إسبانيا وغيرها ظاهراً ويضمرون اليهودية، ونجدهم تحت الحكم العثماني في الدولة العثمانية يعتنقون الإسلام ظاهراً ويبطنون يهوديتهم .

وسوف نتناول بالدراسة والمقارنة حركتين من الحركات المسيحانية التي ظهرت في القرون الوسطى وكان لهما تأثيرهما على المجتمعات التي عاشوا فيها، حيث تشابهت عقائدهما مع المارانوس في حمل طبيعة دينية تختلف عن ديانتهم الأصلية ، وهاتين الحركتين هما حركة يهود الدوغمة (الشبتائيين) والحركة الفرانكية .

أولاً : علاقة المارانوس بالشبتائيين (الدوغمة) :

الشبتائية " שבטאות " هي إحدى الحركات المسيحانية التي ظهرت كغيرها من الحركات التي اعتنقت ديناً يختلف عن اليهودية وظهرت في تركيا في القرن السادس عشر ،

مؤسسها هو شبتاي بن تسفى (١٦٢٦ - ١٦٧٦) الذى ادعى أنه المسيح المنتظر ، وكان مؤمناً بعقيدة القبالة السرية اليهودية وقد صدقه كثير من اليهود حيث توجهوا له من كل مكان متوسلين به فى دعائهم بقولهم: "مبارك رب يعقوب، مسيح العدل ، ملك الملوك، السلطان شبتاي ، ليحفظه الملك الأكبر وليرعاه، ويرفع نجمه ومملكته، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير ، آمين" (١) .

وبينما كان المارانوس فى إسبانيا يواجهون قهراً واضطهاداً من جانب المسيحيين ، كان اليهود فى تركيا يعيشون فى ظل التسامح الإسلامى العثمانى ، حياة استقرار وأمان ، وكان السلاطين يمنحونهم حرية العبادة وأداء شعائهم فى معابدهم بحرية تامة ، حتى أصبحوا يتمتعون بحصانة قوية جعلتهم لا يخضعون لسلطة الدولة ، فكانوا يشكلون حكومة داخل الحكومة العثمانية (٢) .

وهذا هو الأمر الذى كان عليه يهود الأندلس فترة العهد الإسلامى، ومثلما فعل يهود إسبانيا من حيث استغلال الحرية الدينية بفرض السيطرة والتسلل لأنظمة الدولة الداخلية وإدارتها ، واعتلاء المناصب الحيوية فى الدولة ، كما ذكرنا آنفاً ، كان اليهود فى تركيا يقومون بالعمل نفسه، حيث قام شبتاي - مؤسس الشبتائية فى تركيا - بتشجيع قيام دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية ، بإعلانه أنه المسيح الذى ينتظره اليهود فى كل مكان فى العالم ، فكان اليهود يتوجهون له بالدعاء كملك عليهم بدلاً من السلطان العثمانى ، مما أدى إلى تقديعه للمحاكمة من قبل السلطان العثمانى مراد الرابع ، وخيره بين الموت أو الدخول فى الإسلام ؛ فأشهر إسلامه ، وأدخل أتباعه معه إلى الإسلام - وهم الذين عرفوا بيهود الدوغة - حيث قام بإقناعهم بقبول شخصيته الإسلامية مدعياً أنه كانى موسى الذى اضطر أن يبقى مدة من الزمن فى قصور الفراعنة (٣) .

(1) S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed at Mehta offset works, New pelhi.

(٢) عبدالعزيز : الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ٢ /

(3) Episten, I: Judaism : A Historical presentation, penguin Books, London, 1974.

يعد شبتاي بن تسفى أول مبشر للصهيونية حيث مثل توجهه بالعودة إلى فلسطين تطابقاً مع المسيحية الصهيونية العلمانية التى ترفض عقيدة الانتظار ، بل تعتقد ضرورة التعجيل بالنهاية حتى يبدأ العصر المسيحى دون انتظار المسيح .

والدوغة لفظة تركية تعنى المرتد ، واصطلاحاً معناها المسلم ظاهراً ، اليهودى فعلاً وباطناً، وتعنى المنافق والخائن ^(١) وهى مشتقة من المصدر التركى "دوغه ليك" (Donmalik) وتعنى الارتداد عن الدين . وهناك تفسير آخر للدوغة يرجع إلى كلمة فارسية تتكون من شقين "دو" بمعنى "اثنين" و"مه" بمعنى "الفرقة" أى القائمة على نوعين من الأصول؛ الأصل اليهودى ، والإسلامى ^(٢) وهو اسم يعنى الرجوع والتراجع والتغير والعودة من مكان إلى آخر، وبمعنى الراجع الذى يغير فكره واعتقاده ^(٣) . ونلاحظ من معانى الدوغة قرب معناها مع المارانوس اليهود الذى يعنى الخائن والمنافق والمرائى .

ويطلق على الدوغة فى العبرية مصطلح " (مناميم) מנאמים " وتعنى المؤمنين أو المصدقين — "شبتاي تسفى" שבתי צבי " وقد سموا أنفسهم بـ "جبريم" גברים " بمعنى الرجال ^(٤) .

وبالمقارنة بين جماعات الدوغة (الشبتائين) وبين طوائف المارانوس اليهود المتنصرين نجد أن كلاهما يمثل شخصيتين مزدوجتين : ظاهرية : تتمثل فى ديانة السكان الأصليين للبلاد التى تواجدوا فيها . وأخرى باطنية : وهى المثلة فى أصولهم اليهودية . ويلاحظ أن أفراد الدوغة كانوا يتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها فى حياتهم العامة ، أما أسماءهم اليهودية فكانوا يستخدمونها داخل بيوتهم وأثناء أدائهم مناسكهم اليهودية، وكذلك فعل المارانوس اليهود حال تنصرهم حيث حولوا اسمائهم اليهودية إلى أسماء مسيحية .

ولم يرتبط يهود الدوغة بنسب لا باليهود أبناء دينهم وجنسهم ، ولا بالأتراك المسلمين السكان الأصليين فى مدينة سالونيك فعاشوا منعزلين عن المجتمع ^(٥)

ومثلت الدوغة حركة سياسية دينية ، فكانوا يشغلون مناصب قيادية فى تركيا وكان منهم "جاويد بك" الذى شغل منصب وزير للمالية فى الدولة العثمانية ^(٦) وقد قبلت هذه

(1) Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier Macmillan publishers, U.S.A. 1980.

(2) ظاها : حسن : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

(3) A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1992, s. 197 .

(4) www.wikipedia.org ערך שבתי צבי

(5) A.R. Kucuk, a.g.e. ٢٠٨

(6) نفسه ، ص ٣٤ .

الجماعة الإسلام لأسباب سياسية، وكانوا يستعملون اللغة العبرية في صلواتهم ، والتركية في حديثهم مع عامة الناس ^(١) ، وكذلك المارانوس الذين تدخلوا في سياسة البلاد في الأندلس وتقربوا إلى الملوك ورجال البلاط المسيحي وكانوا يستخدمون اللغة الإسبانية في صلواتهم .

وكان الشبتانيون يمارسون الشعائر الإسلامية ظاهراً مع أداء شعائرتهم اليهودية خفية داخل معابدهم اليهودية مثلهم مثل المارانوس الذين كانوا يقيمون الشعائر المسيحية في الكنائس . كذلك مارس الشبتانيون شريعة الختان فكانوا ينفذونها في العام الثالث من ميلاد الطفل، والبعض الآخر ينفذها في العام الثامن حتى لا يلفتوا الأنظار ^(٢) وهذا ما فعله المارانوس اليهود أيضاً في إسبانيا من أجل إخفاء عقائدهم السرية وأثبتناه في سياق الدراسة . ومن ناحية أخرى كان تأثير الشبتانيين كبيراً على المجتمع التركي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ^(٣) ، وكذلك كان تأثير اليهود المنتصرين على مقدرات الدولة في إسبانيا كبيراً إلى الحد الذي أدى بالسلطات المسيحية إلى إنشاء محاكم التفتيش للتحقق من حقيقتهم .

ويربر هؤلاء اليهود - سواء المارانوس أو الشبتانيون - دخولهم ديانات أخرى غير ديانتهم الأصلية ، أن المسيح المنتظر يمثل أحدائلاً غامضة في التاريخ سوف تظهر فيما بعد لكي ينهى مهمته . وأنه لا بد له من اتباع سلوك غير مفهوم وملء بالخطايا ، لكنه في حقيقته مهمة إلهية يقوم بها لإنقاذ شعبه ، ومثال على هذا ما ادعاه المارانوس بتطابق حالهم مع استير الواردة قصتها في التوراة ويعتقد اليهود أن الإنسان اليهودي مقدس مهما اقترف من ذنوب، ولا بد للمسيح أن يتزل لعالم الدنس لتطهيره ، حسب زعمهم ؛ لذا فهم يضيفون على الخطيئة مظهر القدسية ، ومن هنا أعطوا للمسيح إمكانية الدخول في غير دينه ^(٤) .

وكان يهود الدوغة يحرمون الزواج من غيرهم ، وهذا الأمر فعله المارانوس اليهود الذين كانوا لا يتزوجون إلا فيما بينهم .

(1) نفسه ، ص ٤٢ .

(2) نفسه ، ص ٢٥ .

(3) المرجع نفسه ، ص ٣٣ - ٣٦ .

(4) The Zohar, ٥. Vol, Translated by Harry Sperling & Maurica Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York, reprinted ١٩٧٠. p ٢٨ .

وهذا التشابه في العقائد والممارسات السرية ، شجع كثيراً من المتنصرين اليهود على الانضمام والاندماج في حركة الشبتانيين ، أثناء هجرتهم الى تركيا بعد اضطهادات محاكم التفتيش وعلى الأخص في مدينة سالونيك التي كانت مقراً رئيساً لليهود الدونمة وشهدت أكبر تجمع يهودي في أنحاء تركيا ، ومن جانب آخر كان اليهود والمارانوس المبدلين لدينهم يرغبون في عودة الحكم السياسي لليهود بعد الانحدار السياسي الذي تم التعبير عنه بطردهم من إسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي ، وكذا الرغبة في إنهاء الحكم السياسي الكاثوليكي المسيحي^(١) .

كذلك التقى المارانوس والشبتانيون في عدائهم للحاخامية اليهودية والتزوع إلى التحرر من الشرائع التي تفرضها الديانة ، ومثل هذا الاتجاه معاداة الحاخامية اليهودية لكل منهما حيث طالبت بالقضاء عليهما واعتبارهما خطراً على اليهودية .

ثانياً : المارانوس والفرانكية " כת הפרנקיסטים ":

الحركة الفرانكية هي إحدى الحركات التي تعبر عن ازدواجية الايمان في اليهودية ، والتي ظهرت عام (١٧٥٩م) في مقاطعة بودوليا التابعة للدولة العثمانية ، وتعد من الحركات المسيحانية المشابهة فكرياً وعقيدة للمارانوس وهي امتداد للشبتانية . ومؤسسها هو يعقوب فرانك " יעקב פרנק " ، الذي أعلن أنه المسيح المنتظر عام ١٧٥٥م ، حيث أعلن أن الروح التي كانت تسكن شبتاي تسفى قد تقمصته وتجسدت فيه . وفي عام ١٧٥٧ اعترف به الشبتانيون وأعلنوه زعيماً عليهم .

وكان فرانك يشكل نمطاً فكرياً إلحادياً خاصاً وذلك بإعلانه :

" أن الطريق للحياة هو التحرر من كل الشرائع والأديان والقوانين" ويرى أن "قمة الصعود تأتي حينما يسقط الإنسان إلى القاع ، وإصلاح الروح لا يتأتى إلا باتباع سلوك الفجور"^(٢) .

(١) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה .

(٢) ناظم ، مني . المسيح اليهودي ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظبي ، سلسلة ثقافية قومية ، نحن وهم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

وقد اعتبر عدد كبير من اليهود في أوروبا أن هذه الأفكار هي أحسن الطرق إلى الحرية السياسية والروحية^(١).

وقد قامت المحكمة الدينية اليهودية بمعارضة هذه الحركة بسبب ممارساتها المهرطقة والملحدة؛ فأسقط الفرانكيون اليهودية عنهم، وأكدوا أن معتقداتهم تشترك مع الكنيسة، وأعلنوا معادتهم للتلمود، وطلبوا حماية الكنيسة، ووافقت الكنيسة، بغرض تحقيق التنصر الجماعي لهم وأجريت مناظرة بين الكنيسة والخاصامية، كانت نتيجتها أن قبلت الكنيسة تنصر فرانك وأتباعه، وظل أتباعه يعتقدون أنه المسيح المعبود. وكان أتباعه يتزوجون فيما بينهم، ومنهم من سلك الحركات الماسونية وكان من بينهم رجال الثورة الفرنسية.

ومثلما فعل يهود الدوغمة والمارانوس اليهود فإن الفرانكيين كانت لهم أسماء مسيحية إلى جانب أسمائهم اليهودية^(٢) حيث سمي يعقوب فرانك نفسه بـ "سانتوسينور" أى السيد المقدس وأعلن كفره بالتلمود^(٣).

وتعد الفرانكية إحدى الحركات التي ظهرت في التاريخ التي لا تنتمي إلى دين من الأديان لتعبر عن اليهود الخارجين عن الدائرة اليهودية معتنقين ديانات أخرى ومتخذين هوية دينية شكلية، فينتهي أمرهم بالإلحاد ويصبحون غير مقبولين. سواء من أبناء دينهم أو من أصحاب الديانة التي اعتنقوها.

وأخيراً نقول أننا إذا ما قارنا عقائد وممارسات اليهود المارانوس اليهود في إسبانيا والبرتغال مع طوائف اليهود الشبثانيين والفرانكيين الذين عاشوا في تركيا، فعلى الرغم من اختلاف طبيعة كل بلد عن الأخرى، واختلافات الجنس والديانة واللغة، إلا أننا نجد أنهم يشتركون في ممارسات واحدة من حيث المحافظة على السرية والتخفى، والقدرة على إخفاء الحقائق وإظهار غير ما يطمنون، ثم قدرتهم على التسلل إلى عمق المجتمع الذي يعيشون فيه ويؤثرون فيه، مع الاحتفاظ بعزلتهم فيما بينهم، وفي الوقت نفسه يتمكنون من أداء شعائهم بعيداً عن الأنظار، منتهجين شخصيتين منفصلتين، إحداهما ظاهرة أيضاً كان

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٧.

(٢) سوسة، مرجع سابق، ص ٤١١.

(٣) ظاظا: مرجع سابق، ص ١٢٨.

اعتقادها، والأخرى باطنة تعتقد اليهودية . وقد اجتماعاً جميعاً في رفض الحاخامية اليهودية لهم.

وبالمقابل فقد قامت المؤسسة الحاخامية اليهودية بتشجيع محاكم التفتيش على تعقب يهود المارانوس والقضاء عليهم ، وحدث نفس الشيء أيضاً مع الشبتائيين الذين اعتبرهم الحاخامية اليهودية فئة مهرطقة خارجة عن دائرة اليهود، وكانت تشجع السلطات العثمانية للقضاء عليهم؛ حتى أن الحاخامات اليهود كانوا يطلقون على الشبتائيين لفظ "الكفار" ويطلقون على اليهودى المنتصر لفظ "المطروود من حظيرة الدين"^(١) .

وعلى جانب آخر عارض المارانوس ، الحاخامية اليهودية التى رأوا فيها نوعاً من التشدد والجمود والبعد عن الفكر المتحرر من كل قيد ، ووجدوا ضالتهم في تحطيم كل القيود بالدخول في أديان أخرى من أجل النفاذ إلى داخل المجتمعات التى يعيشون فيها . وقد التقوا جميعهم في ترويج المفهوم القبالى اللورىانى المبطل للشريعة والمؤيد للتيار الروحى الإنسانى المتحرر من قيود الشريعة ، والخروج من دائرة الدراسات التلمودية التى نادى بها الحاخامات، الأمر الذى أدى إلى ظهور حركات يهودية مسيحية .

(١) ظاها : حسن : مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

المبحث الثاني

موقف الحاخامية اليهودية والشرائع من المارانوس

عد بعض حاخامات اليهود المارانوس يهودًا مرتدين وغرباء عن اليهودية ، وذلك لكونهم تنصروا بإرادتهم . واعتبروهم طائفة ملحدة ؛ وذلك لظروف تواجدها بين مجتمعات تأثرت بفلسفات عقلية معاصرة غير يهودية في عبادتهم وطقوسهم وعقائدهم ، الأمر الذى أدى بالحاخامية اليهودية بتشجيع محاكم التفتيش على تعقبهم والقضاء عليهم مما يلزم الدراسة توجيه النظر والبحث في موقف هؤلاء المنتصرين من الشريعة اليهودية وبالمقابل موقف المشرعين اليهود منهم سواء أكان قبولاً أو رفضاً .

موقف المنتصرين اليهود من الشرائع اليهودية :

إن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :

ما موقف المنتصرين اليهود الذين حاولوا التمسك باليهودية فى الباطن بالنسبة للتشريع

اليهودى؟

وما هو موقف الشخص المارانوسى الواقع تحت الجبر على إخفاء يهوديته وإظهار

المسيحية ؟

فطبقاً لما ورد فى تشريع "موسى بن ميمون" "דמב"ם"^(١) : "لابد وأن يلتزم كل بيت فى إسرائيل بعبادة الرب ، والأفضل لليهودى أن يموت من أن يخرج عن الشريعة ، أما فى حالة الإكراه والقسر على غير ذلك فيعفى اليهودى من العقاب " . وقد جاء تشريع موسى بن ميمون فى هذا الشأن " إذا أجبر اليهودى على إلغاء شريعة رغماً عنه - قسراً وإجباراً - فهو معفى من العقاب"^(٢) .

(١) موسى بن ميمون أشهر علماء ومشرعى اليهود فى القرون الوسطى ، سبق ترجمته . (he.wikipedia.org)

(٢) האניציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ - ٣٥٦ انظر ايضا ספר משנה תורה - יד החזקה

להרמב"ם - שנת תרפ"ה - לב"ע - עם פרוש רבי שמעון גלזר - volume1-maimonides

publishing co- new yprk (1927) ספר מדע פ"ה (ב-ה) ص ١٤٧-١٤٩ .

وبحسب تشريع الراب " إسحاق بار شيشيت " "ר' יצחק בר ר' ששת ברפת" (١) :
 " فإن المنتصرين الذين لم يستطيعوا الرجوع إلى فلسطين ، وظلوا في أماكنهم ، ومارسوا
 شرائعهم اليهودية بينهم وبين أنفسهم فيكون الحكم عليهم أنهم مثل اليهود الكاملين ، وتعد
 ذبائحهم حلال ، وشهادتهم موثوق بها في إغناكم ، أما في حالة استطاعة المنتصر المهروب
 والعودة لإسرائيل ، وتفضيله البقاء حفاظاً على أمواله وممتلكاته ، فهو في نظر المشرعين غير
 صالح ، بل مرتد وغير جدير أن يكون يهودي ، ولا يعتد بشهادته " (٢) .

ويخالف هذا الرأي بعض المشرعين فيرون أنه إذا سنحت لهم الفرصة للهرب ، ولم يقوموا
 بهذا العمل خوفاً على ممتلكاتهم ، وتجاوزوا عن بعض الشرائع اليهودية بسبب الإكراه
 الخارجي ، فهؤلاء لا يجب الخوف منهم ولا يعتبرون مرتدين (٣) .

والحقيقة فإنه بمرور الزمن فقد اختفت العقيدة والتقاليد اليهودية من ذرية عائلات
 المنتصرين اليهود في إسبانيا والبرتغال حيث تزوجوا من عائلات خارج اليهود ، وسافر
 الكثير منهم في كل أنحاء العالم ؛ لذلك ساد بين اليهود حالة من البلبلة والشك حول موقف
 المنتصرين الذين عادوا لليهودية ، خصوصاً فيما يتعلق بالزواج والعلاقات والأنساب (٤) .

موقف التشريع اليهودي من زواج المنتصرين :

اختلفت الآراء وتضاربت بشأن زواج المنتصرين ، فالشريعة اليهودية تحرم الزواج من
 غير اليهودي بحسب المادة ٣٩٦ التي ورد فيها : " إن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو
 العكس باطل ، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرين ، والأولاد
 الذين يولدون من هذه المعاشرة المردولة يعتبرون أبناء زنا " (٥) .

(١) رابي يتسحاق بر شيشيت برفت ويختصر اسمه إلى "هاريباش" "הריב"ش" ولد عام ١٣٢٦م في برشلونة
 بإسبانيا ، وتوفي في عام ١٤٠٨م في الجزائر وهو مشرع لكثير من الفتاوى اليهودية والتي استخدمها يوسف
 قارو مؤلف الشولحان عاروخ كأساس لكتابه . (wikipedia.org)

(٢) האינציקלופדיה העברית . ع ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) האינציקלופדיה העברית . ع ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٥) ظا : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

وفي هذا الشأن يقول ابن شمعون "דוד בן שמעון"^(١) : "لا يكتفى بوحدة الدين بين الزوجين ، بل ينص على وحدة المذهب أيضاً " استناداً إلى المادة ١٧ التي ورد فيها : "الدين والمذهب شرط لصحة عقد الزواج ، فإذا كان أحد الاثنين من غير الدين أو من مذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما ، وإلا كان باطلاً" . وتضيف المادة ١٨ أنه " يصح أن يعقد بين اثنين كان أحدهما أجنبياً ثم اعتنق الدين أو المذهب اعتناقاً شرعياً " ويضيف الشراح على ذلك :

" أن الأولاد الذين يولدون من زواج اثنين أحدهما يهودي ، والثاني أجنبي لصيق باليهود عن طريق اعتناق دينهم ، لا يصح أن يكون منهم ؛ كهنة في إسرائيل "^(٢) . وقد شرع بعض الرבנים أمثال "إسحاق بر شيشيت" والراب "شمعون بن تسامح دوران" "ר' שמעון בן צמח דוראן" (٣) في الجزائر ، و"إيهو مزراحي" "רבי אליהו מזרחי" (٤) في القسطنطينية ، "أن ذرية المنتصرين اليهود بعد عدة أجيال يعتبرون يهوداً من ناحية الزواج والطلاق واليوم "יבום" وخلافه (٥) وهناك من شرع أن أبناء المنتصرين وذريتهم الذين ولدوا بعد تغيير ديانتهم اليهودية للمسيحية من قبل والديهم يعتبرون مثل الأغيار فهم لا يحتاجون لليوم ، أما إذا تهودوا ، فيكون مسموحاً لهم أن يدخلوا شعب إسرائيل (٦) . وقد نتج ذلك بسبب أن ذرية المنتصرين اليهود الذين عاشوا بين الأغيار أكثر من مائة عام قد

(١) داود بن شمعون ولد في الرباط بالمغرب عام ١٨٢٦ ومات ١٨٨٠ مشرع ورجل دين يهودي ، تولى رئاسة الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا ويختصر اسمه إلى "דב"ש" (איינציקلوپדיה ידיעות אחרונות - www.ynet.co.il/yaan).

(٢) ظا : حسن : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٣) رابي دوران شمعون بن تسامح ويختصر اسمه إلى راشتس "רשב"ץ" مشرع يهودي ولد في عام ١٣٦١ في برشلونة بإسبانيا (he.wikipedia.org) .

(٤) رابي إيهو مزراحي (١٤٣٥-١٥٢٦) أحد المفسرين لكتابات راشي ويختصر اسمه إلى "הרא"ם" .

(٥) اليوم شريعة يهودية خاصة بالأحوال الشخصية تقول أن الأرملة اليهودية التي مات زوجها ولم تنجب منه يجب تزويجها لأخيها الأعزب جبراً ، وإذا أنجب منها فإن المولود يحمل اسم أخيه الميت . ظا : مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٦) האיינציקلوپדיה העברית . ع ٣٥٥ - ٣٥٦ . (الموسوعة العبرية) .

تزوجوا من أجنبيات، ولهذا فإن يهوديتهم مشكوك فيها ، ويتم التأكد من نسبهم اليهودي عن طريق الأم .

أما المنتصر الذي كان يامكانه الهروب ولم يهرب فيعاقب بتغريمه بالألا يرث ممتلكات إسرائيلية ، والمنتصر الذى تاب وعاد لليهودية فإنه يستحق نفس حقوق الوارثين بلا أي نقص^(١) . وقد ألزم حكماء صفد وعلى رأسهم رابي "يعقوب بير آب " عقاب المنتصرين التائبين بالجلد على عدم تنفيذهم الوصايا . أما المنتصر الذي هرب من أرض مولده ولم يختن فكانوا يمنعونه من استخدام أدوات المعبد حتى يتم اختنائه^(٢) .

المنتصرون في أدب الأسئلة والأجوبة هاشيلوت وهاتشوفوت **השאלות והתשובות** الخاص بالشرائع:

تركت واقعة طرد اليهود من إسبانيا انطباعاً وأثراً على أدب الأسئلة والأجوبة "ספרות השאלות והתשובות"^(٣) الخاص بتلك الفترة ؛ ونظراً لأنه لا يتسع المجال لمناقشة كل القضايا التشريعية المتهمة بشئون المنتصرين فسوف نقتصر على قضية واحدة وهي ، ما هو الموقف التشريعي للمنتصرين اليهود فيما يتعلق بالزواج والطلاق؟

(١) **האינציקלופדיה העברית** . ع ٣٥٥ - ٣٥٦ ..

(٢) المرجع نفسه .

(٣) أدب الأسئلة والأجوبة هو أدب الحاخامات الكبار وفروعه التي كتبها "الجاؤونيم" (رؤساء المدارس الدينية) والحاخامات الضليعون في التوراة وفي إصدار الفتاوى ، وكان في صورة أجوبة على أسئلة في أمور تتعلق بالشريعة في موضوعات متنوعة ، وكان الحاخامات الأوائل قد اعتادوا الإجابة على الأسئلة المتنوعة التي كانت توجه إليهم عن طريق الكتابة ، وبخاصة بشأن الشريعة ، باعتبارهم "الجاؤونيم" و"رؤساء الشيفوت" في بابل . وقد خضعت الأسئلة والأجوبة لتعديلات كثيرة حتى وصلت إلى هدفها ، وكانت الأسئلة ترسل بواسطة كبار التجار البابليين من بغداد والبصرة ممن كانوا يذهبون لترويج بضائعهم في أوروبا وأفريقيا أو العكس ، وذلك عن طريق القوافل ، وقد تم حفظ آلاف الإجابات التي أصدرها "الجاؤونيم" و "عظماء الشريعة والفقهاء اليهودي" مثل "هريف" والحاخام "موسى بن ميمون" والحاخام "راشي" ، وغيرهم ، حتى اليوم ، و"الأسئلة والأجوبة" أو "فقه الفتاوى" ذات أهمية بالغة في قضايا تاريخ الدين اليهودي وفقهه ، وتعتبر مصدراً غاية في الأهمية للباحثين في تاريخ اليهود في كل مجالات الحياة . الشامي : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣ م ، ص ٢٨٠ .

وهي التساؤلات التي دار حولها مجادلات كثيرة استمرت حتى أيامنا هذه^(١). وكان المارانوس اليهود في بداية تنصرهم لا يتزوجون إلا فيما بينهم. وكانت القيادة الروحية للجماعة في يد النساء العجائز، وكان يهود المارانوس يُشكلون قوة متماسكة فيما بينهم، فالتاجر اليهودي المنتصر يرفض أن يشارك تاجراً آخر حتى يتأكد من هويته، وقد ساعد هذا التماسك على تسهيل الحياة الاجتماعية للمارانوس^(٢) غير أن هذا الوضع قد تغير بعد ذلك نتيجة للاختلاط بين المسيحيين واليهود لسنوات طويلة فأصبحوا يتزوجون من غير دينهم.

والسؤال الآن هو: ما موقف المنتصرين كيهود، هل يمكن اعتبارهم يهوداً كامليين؟ أم أنهم يحتاجون إلى طهارة واغتسال عندما يرغبون العودة إلى اليهودية خشية أن يكون آباؤهم قد تزوجوا من سيدات أجنبيات؟

وللإجابة على هذا السؤال نذكر بعض آراء الربانيين والمشرعين في هذا الشأن: ففي تشريع رايب "شلمو بن أفراهام بن أديرت" "רבי שלמה בן אברהם אבן אדרת"^(٣) فيما يتعلق بالمنتصرين في زمانه يقول: "لا يجري على المنتصرين ما يجري على المتهودين، ولا يحتاجون إلى طهارة حيث إن الطهارة لا تكون إلا للمتهود". ويقول "رايب إلباهو مزراحي" لا نطالب المنتصرين اليهود الذين جاءوا تائبين من إسبانيا إلا بالاختتان فقط^(٤).

والسؤال الآخر هو: هل يمكن اعتبار المنتصرين وذريتهم يهوداً مادام قد ثبت أنهم لم يختلطوا بأغيار أو لم يثار حولهم شك أنهم تزوجوا زواجاً مختلطاً؟ ويجب رايب "شمعون دوران" على ذلك فيقول:

(١) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה . שנת תשנ"ג . www.daat.ac.il ٢٨-٤-٢٠٠٧ .

(٢) المسيرى: موسوعة، مجلد ٢ / جزء ٢ / باب ٢ .

(٣) رايب شلمو بن أديرت، ولد بـبرشلونة في عام ١٢٣٥ وتوفي في عام ١٣١٠ يختصر اسمه في العبرية إلى رشبا "רשב"א من كبار مفسري التوراة والتلمود في فترة الريشونيم، وهي الفترة التي تمتد من القرن الحادي للقرن الخامس عشر تقريباً، وقد تم استخدام فتواه كأساس لكتاب الشولحان عاروخ الخاص بالتشريعات اليهودية مثله مثل رايب يتسحق بر شيشيت . www.wikipedia.org.

(٤) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

"حرص المنتصرون اليهود على ألا يتزوجوا من أجنبيات منذ بداية تنصرهم ، وكان زواجهم يتم فيما بينهم فقط ، وساد بينهم ذلك ..جيل بعد جيل ..وكان كل منتصر يريد العودة لليهودية يتم التأكد أن والديه من إسرائيل وليسوا أجنبيا .. لذلك فهؤلاء المنتصرون اليهود لا تفرض عليهم الطهارة مادام تم التأكد من أصلهم اليهودي، وعلى الرغم من وجود قلة من المنتصرين اليهود اختلطوا بالشعوب الأخرى واتخذوا لهم زوجات من بناقن إلا أن هؤلاء قلة قليلة جداً ... أما الذين لم يتزوجوا من أجنبيات فهم كثيرون جداً^(١) .

وجاء في إجابة أخرى : (إن الزواج بين منتصر وأجنبية ، أمر مكروه ومذموم ، ولا يجب الاختلاط بنسل هذا الزواج ؛ لأن هذا النسل يعتبر مثل نسل الأمم الأخرى (الجويم أى الأغيار).

أما "الراي يوم طوف تسهالون" "יום טוב צהלות" ^(٢) فقد كان أكثر تساهلاً في هذا الشأن حيث اعتبر ذرية المنتصرين يهوداً كامليين فيقول :

"ليس هناك خوف أن يكون والد هذا المنتصر الأغلف قد تزوج من أجنبية وولدت له هذا الابن، وعلى هذا فما ينبغي عليه ، هو أن يحن ويغتسل مثل الأغيار الذين يريدون اليهود".

وفيما يختص بـ "اليوم (الأرملة اليهودية التي تلزم بالزواج من أخي المتوفي)" فقد ورد سؤال (حول زوجين من المنتصرين اليهود في البرتغال تزوجا حسب الشريعة اليهودية وكانا يسيران في عقائدهما مسلك الأمم الأخرى وكانا يدنسان شريعة السبت علناً ، ثم عادا إلى إسرائيل ، وعقدا زواجهما حسب شريعة موسى ثم مات الزوج دون أن ينجب ، فهل هذه الزوجة تصبح ملزمة بشريعة اليوم أم لا ؟) .

وفي رده على هذا السؤال يقول راي "يوم طوف" ، أن تشريع اليوم في هذه الحالة يكون قائماً . أما في حالة ذوبان المنتصرين بين الأغيار فلا يكون هناك إلزام بشريعة اليوم .

(١) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנסים לאור ספרות התשובה.

(٢) ويختصر اسمه في العبرية إلى ماهريتاس (מהר"ט"ס) (١٥٥٩-١٦٣٨) من حكماء صفد، عاش بعد طرد

اليهود من إسبانيا بأجيال . www.wikipedia.org

ويؤكد على هذا راى "أفراهام جبريل" " **אברהם גבריל**" فيقول :
إذا كانت لهم القدرة على تخليص أنفسهم ، واتخذوا لأنفسهم زوجات من بنات الأغيار ،
ولم يحرصوا على الزواج من بنات المنتصرين اليهود ، فهم يعتبرون أغياراً كاملين ولا إلزام
لهم بشريعة اليوم .

وكتب راى "يوسف بن ليف" **יוסף בן דוד אבן לב** ^(١) أنه بمرور الوقت بدأ
المنتصرون يتخذون أجنبيات كمحظيات وعشيقات لهم ، وهو أمر غير مسموح به في
الشريعة اليهودية .

أما المنتصر الذى يعرف أن أمه أجنبية أو شك في هذا ، فيجب عليه أن يمر عبر قوانين
التهود مثله مثل الأغيار . وقد تناول راى "شلومو بن زمرا" " **דוד בן שלמה אבן זמרא**" ^(٢) هذه المسألة فقال أنه إذا عرف أن جدة المنتصر كانت وثنية ، ووالده إسرائيلي
فلا بد له من الاغتسال كما ورد في شريعة التوراة ^(٣) . ومما سبق يتضح تناقض آراء
المشرعين اليهود في قانونية اعتبار هؤلاء المنتصرين يهوداً أم أغيار .

شرعية عقود الزواج للمنتصرين اليهود :

كان محرماً على اليهود المنتصرين المقيمين في إسبانيا والبرتغال تنفيذ وصايا الديانة
اليهودية ، فيما يختص بطقوس عقود الزواج حيث كان يفرض عليهم إجراؤها في الكنيسة .
واتباعاً لمبدأ التخفى كان اليهود المنتصرون يؤدون طقوس الزواج مرتين ، مرة علناً في
الكنيسة ، ومرة أخرى سراً وفقاً لطقوس الزواج بحسب الشريعة اليهودية ، ومراراً
الوقت توقف المنتصرون عن هذه العادة واكتفوا بأداء مراسم الزواج في الكنيسة فقط كما
يشير راى "يوم طوف تسهالون"

(١) راى يوسف بن داود بن ليف من حكماء تسالونيك في القرن السادس عشر اشتهر بشرائعه وفتواه الدينية
ويختصر اسمه إلى " **מהר"י בן לב** " أو " **מהריב"ל** ". www.wikipedia.org

(٢) داود بن شلومو بن زمرا (١٤٧٩ - ١٥٧٣) مؤلف كتاب اسئلة وأجوبة للراب شلومو زمرا ويختصر اسمه
إلى هاردهاز " **הרדב"ז** ". www.wikipedia.org

(٣) **שאלות ותשובות מנחת אלעזר . לקוטי תשובה . שייבר חיים אלעזר שפירא**
ירושללים . כסלו תשנ"ן . חלק חמישי . סימן א - סימן ה .

والسؤال هنا : كيف تنظر الشريعة لعقود الزيجات التي تمت في الكنيسة ولم تتم بموجب الشريعة اليهودية وأرادت الزوجة التزوج بآخر يهودي ؟ .

والرد على هذا السؤال يتفرع إلى عدة اتجاهات ، فإنه إذا اعترفت الشريعة بصلاحيات هذا العقد ، فالمرأة لا تستطيع الزواج من شخص آخر يهودي ، إلا إذا حصلت على وثيقة طلاق من زوجها الأول - طبقاً للشريعة اليهودية .

أما إذا ذهبت الزوجة وتزوجت شخصاً آخر بلا وثيقة طلاق صالحة شرعاً ، فإن أولادها من الزوج الثاني يعدون مامذيريم "ממזרים" أى أبناء غير شرعيين^(١).

وقد حدثت عدة وقائع تتعلق بانفصال أزواج من المنتصرين اليهود ، فقد قرب الزوجة من إسبانيا أو البرتغال ، بينما يرفض زوجها الهرب معها ، فتركه وتذهب وحدها إلى إسرائيل . فإذا أرادت هذه المرأة الزواج مرة أخرى ، دون حصولها على وثيقة طلاق من زوجها السابق . فماذا يكون وضعها؟

وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور مشكلة لجموعة كبيرة من النساء المعلقات "לנساء המعلقة" ^(٢) اللاتي حرم عليهن الزواج مرة أخرى بلا وثيقة طلاق ، مما اضطر هؤلاء النسوة أن يتزوجن من غير اليهود ، وقد نتج عن ذلك ظهور فئة جديدة من غير المؤهلين دينياً للدخول في الشعب اليهودي ، ونتج عنها ظهور أبناء غير شرعيين. وقد أحدثت تلك الظاهرة تأثيراً على البنية الدينية للمجتمع الإسرائيلي^(٣) .

مما أدى إلى منع حكماء إسرائيل من السير في هذا الطريق ، حيث شرعوا أن عقود الزواج للمنتصرين اليهود غير نافذة ؛ لأنها تؤدي إلى ظاهرة المامذيريم أو الأبناء غير الشرعيين .

صلاحيات شهادة المنتصرين في رأى المشرعين اليهود :

من أهم الاستفسارات التي دارت بشأن أوضاع هؤلاء المنتصرين:

(١) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה .

(٢) هي المرأة المعلقة في الديانة اليهودية، والتي لا تعتبر مطلقة أو متزوجة لسبب ما في الشريعة
www.wikipedia.or.

(٣) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה .

ما مدى صلاحية المنتصر للشهادة على عقود زواج أو طلاق وما شابه ذلك ، وخاصة لذلك المرتد عن اليهودية قسراً؟ .

بوجه عام فإنه طبقاً للشرعية اليهودية فإن كل المنتصرين لا يمكن اعتبارهم صالحين للشهادة أو مؤهلين لها ؛ وذلك لأنهم خاطئون في نظر الشرع ، فالشرعية تقول أنه "يفضل للشخص أن يموت ولا يفعل ثلاث خطايا ومنها الوثنية"^(١) وهؤلاء المنتصرون اليهود لم يحافظوا على الشرعية ، بل غيروا عقيدتهم، وتخطوا كل الوصايا التي تفضل الموت على تخطيها ، فهم إذن خطاة وغير صالحين للشهادة^(٢).

لكننا نجد راوي "إسحاق بن شيشيت" في عدد من ردوده حول صلاحية شهادة اليهودي المنتصر فيقول : " إن قول الشرعية : يقتل ولا يتخطى الوصية نافذ ، إلا في حالة خوف اليهودي من أن يقتل ، فهو في هذه الحالة إذا تخطى الوصية يكون صالحاً للشهادة ما دام فعل ذلك رغماً عنه ؛ وذلك لأن خشية الموت تكون قد حلت عليه ."

ويشير راوي "إسحاق بن شيشيت" في هذا - مستشهداً بقول راوي شلومو بن أفراهام بن أديرت - فيقول : " إن الاسرائيلي الذي غير عقيدته نتيجة الخوف ، فعلى الرغم من أنه أخطأ ، إلا أنه إسرائيلي"^(٣) . وهذا الرأي يعطى قدراً من التسامح مع المنتصر .

إذن متى يعد المنتصر المجبر مؤهلاً للشهادة؟

يقول المشرعون اليهود : إذا كان المنتصر محافظاً على الوصايا اليهودية بينه وبين نفسه ، فإنه يكون صالحاً للشهادة ، أما إذا كان بينه وبين نفسه متخطياً للوصايا وخارجاً عليها فهو غير صالح للشهادة !! .

أما بالنسبة لشهادة المنتصرين المقيمين بالخارج حالياً يقول : "إسحاق برشيشيت" " إن كان المنتصر في البداية يتخطى الوصايا رغماً عنه ، فإنه يتخطاها الآن برغبته ويعنى ذلك أنه غير مقبول، ويؤكد "هاريباش" هذا الرأي فيقول :

(١) يطلق اليهود الوثنية على كل من هو غير يهودي فيعدونه أجنبياً أو وثنياً .

(٢) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנסים לאור ספרות התשובה .

(٣) שאלות ותשובות . מנחת אלעזר . חלק חמישי . סימן א - סימן ה .

"إن هؤلاء المنتصرين اليهود الذين فضلوا البقاء في أراضي الارتداد عن اليهودية طوال الوقت، ولم يهربوا في الوقت الذي أتيحت لهم الفرصة للهرب، مثلما فعل متنصرون آخرون، فهم يعدون خاطئين وغير مؤهلين أن يكونوا شهوداً. أما إذا كانوا تحت وطأة الإكراه، فإنهم يعدون يهوداً كامليين"^(١).

"أما في حالة طلاق امرأة من زوجها المنتصر وشهد على طلاقها متنصرون يهود؛ نجد تشريع رايب "إسحاق بر شيشيت" في هذا الأمر يقول أن هذا الوضع يوكل لتحقيق حاخامي هؤلاء الشهود حتى يتم التأكد من أهليتهم للشهادة، ومن ثم يتم إباحة وبيان شرعية وثيقة الطلاق بالاعتماد على شهادتهم عليها.

وفي سؤال آخر حول مدى صلاحية عقد تم أمام شهود من المنتصرين اليهود، واتضح أنهم من خارقي الوصايا بينهم وبين أنفسهم؟ فبحسب رأي رايب "إسحاق بر شيشيت"، فإن هذا العقد يكون لاغياً وغير شرعي. ويعزز هذا الرأي رايب "شمعون بن تسامح دوران" فيقول: "على الرغم من صلاحية المنتصرين للشهادة، إلا أنه إذا اتضح أنهم غير حريصين على الوصايا ويتجاوزونها فإنهم يعدون كسائر الوثنيين، أي غير جديرين بالشهادة "עצרת" والعقد الذي يتم أمامهم لا يعتبر نافذاً".

أيضاً أثير تساؤل آخر وهو: "ما هو وضع المرأة التي تم عقد زواجها على رجل من الأغيار وكان والده أيضاً من الأغيار ويشك أن أمه من نسل إسرائيل، أو أنها كانت من المنتصرين اليهود؟

فبحسب الشريعة اليهودية؛ فإن الرجل الذي من الأغيار ويتزوج فتاة إسرائيلية وينجب منها، فإن عقد زواجه يكون نافذاً.

وبحسب ما سنه رايب "إسحاق بن شيشيت"، ورايب "شمعون بن تسامح دوران" فإنه لا بد من أن تخضع كل حالة من تلك الحالات إلى فحص مدى صلاحية وشرعية عقد المرأة المنتصرة ومعرفة من هم شهود العقد؟ هل كانوا يحافظون على الشريعة اليهودية بينهم وبين أنفسهم أم لا؟^(٢).

ومن الطبيعي أن هذا الأمر كان يلقي صعوبة شديدة نظراً لكثرة الحالات التي من هذا النوع.

وطبقاً لما ورد في تشريعات حكماء سالونيك:

(١) אליאב שוחטמאן. מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

(٢) שאלות ותשובות. מנחת אלעזר. חלק חמישי. סימן א - סימן ה.

فإن " كل امرأة تزوجت من رجل إسرائيلي ارتد عن اليهودية فإن عقد زواجه عليها يكون لاغياً ، وفي هذه الحالة تعد محللة لأي أحد من إسرائيل يريد أن يتزوجها ، وذلك لعدم وجود شهود مؤهلين ، ولا يوجد في هذه الحالة إلزام لشريعة اليوم ، ومن حقها أن تتزوج أى شخص إسرائيلي " .

وجدير بالذكر فإن السلطات الروسية كانت تسن قوانين تفرض على عدد من المنتصرين اليهود في روسيا التخلي عن العقائد جميعاً ، ومنها اليهودية بما يشمل طقوس الزواج اليهودية ، ولم يكن باستطاعة المنتصرين الخروج منها ، وكان الزواج وطقوسه يتم بين المنتصرين في روسيا بشكل مدني .

ومما سبق يتضح لنا تضارب الآراء حول أوضاع هؤلاء المنتصرين لدى الحكماء والمشرعين والحاخامات اليهود ومدى إمكانية السماح لهم بنيل حقوقهم من اليهودية ، فمنهم من اعتبرهم يهوداً كاملي اليهودية في حال عودتهم لليهودية ، والبعض الآخر اعتبرهم مارقين وخارج الدائرة اليهودية .

ويتضح لنا من الاستفسارات والمحاورات التي دارت حول زواج المنتصرين باليهود - والتي عرضناها من خلال آراء أهل الشريعة اليهودية ، والتي تبدو بشأن الزواج من الأغيار كما يطلقون عليه - فقد حكم بعضهم ببطلانه ، غير أن البعض سمح به ، والحقيقة فإن موافقة المشرعين على قبول هؤلاء يأتي من الرغبة في تشجيع العودة إلى إسرائيل ، ضماناً للانتماء اليهودي ، سواء على مستوى الآباء أو ذرياتهم من الأبناء ، والمرأة التي تزوجت في الخارج وعادت لترغب في آخر حسب شريعة موسى عليه السلام ، فإنه لا يهم عند معظم المشرعين اليهود إذا كانت تحمل وثيقة طلاق من زوجها الأول - الأجنبي - أم لا ، باعتبار أن هذا الزواج غير معترف به ، وفي هذه الحالة يكون الزواج الأول كأن لم يكن ، وفي الوقت نفسه تستطيع الزواج من أى إسرائيلي ترغب الزواج منه .

بينما نجد نقطة أخرى وهي - بحسب رأى المشرعين - أن المنتصر يعد يهودياً كاملاً إذا كان يطن اليهودية بينه وبين نفسه ، ونتساءل من أين لهم معرفة ما يدور في نفس الشخص حتى يتم الحكم عليه من هذا المنطلق !!؟

المبحث الثالث

واقع المارانوس المعاصر

إذا حاولنا تقصى الأوضاع الحالية ليهود المارانوس فإنه يتعين بنا أن نطرح عدة تساؤلات يمكن أن تحدد ماهية واقع هؤلاء اليهود المنتصرين وتحدد هذه التساؤلات فيما يلي :

هل مازال يوجد على الساحة العالمية ما يعرف هؤلاء اليهود المنتصرين ؟

فإذا كانت الاجابة بنعم فماذا عن تنصر هؤلاء وما الفرق بينهم وبين مارانوس العصور الوسطى ؟ ثم ما هى الأسباب والدواعى التى تجعل يهود اليوم ينتسبون للمسيحية ويؤدون الشعائر اليهودية سرًا .

ونتساءل : ما هو الهدف من حرصهم على سرية ممارسة شعائرهم اليهودية ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين الذى ينادى بحرية العبادة لكل إنسان ، خاصة هؤلاء اليهود الذين يتبأون مكانة قلبية بين الغربيين وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

كما نتساءل ، كيف يمكن الحكم على هوية شخص يجمع بين منصب الخاخام اليهودى والبابا الكاثوليكي وما مدى قبوله من الجانبين اليهودى والمسيحى .

الأمر الذى يجعلنا فى حاجة إلى توضيح : مدى انتشار هؤلاء المنتصرين فى أنحاء العالم وما هى الديانة التى ينتمون إليها ؟ اليهودية أم المسيحية ؟ أم هى خليط بين كل منهما ؟ أم غط ديني جديد ينسخ ما قبله من عقائد ؟ .

ثم كيف نستطيع ان نوجه انتماء هذه الجماعات اليهودية المنتصرة طبقا لما سقناه خلال الدراسة هل ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية التى عاشوا بين ملوكها وحكامها ورجال بلاطها كمستخدمين لهم أم أنهم تابعين للبروتستانت أعداء الكاثوليكية الذين اتجهوا إليهم وانضموا إلى صفوفهم معلنين العداء لكل ما هو كاثوليكي .

والسؤال الأساسى هنا : ما هى أسباب ترحيب العالم الغربى هؤلاء المارانوس ؟

ويلاحظ مما ذكرناه فى ثنايا الدراسة أن الانتماء اليهودى الدينى والعقائدى لدى يهود المارانوس بدأ يزول تدريجيًا من قلوب المنتصرين أنفسهم نتيجة لطول فترات التخفى التى عاشوها فى البلاد . حتى أصبح أداء العبادة فى السر والخفاء من الأمور المعتادة لديهم فى

الوقت الذى سُمح لهم بمزاوتها طبقاً لمبدأ حرية العبادة والذى أعلنته البرتغال عام ١٩١٠م، حيث اعتادوا عدم التصريح بحقيقة عقيدتهم في إسبانيا والبرتغال وغيرهما من بلاد العالم .

وكما سبق القول فإنه نتيجة لمعاناة المارانوس اليهود تحت الحكم الكاثوليكي للبلاد ، فقد آثروا الانضمام إلى الحركات التنويرية والمذهب البروتستانتي المناهض للكاتوليكية في العصور الحديثة . وشكلوا نمطاً من أنماط العلمانية بمفهومنا الحالى ، والتى تعلت من شأن الجانب الدينى على حساب الدين والعقيدة .

ومن ناحية أخرى فقد عارض المارانوس الحاخامية اليهودية في تعصبها وتشددتها وجودها وفرضها الانعزال عن الأغيار حيث نادوا بالحرية الدينية وفصلها عن السياسية ، مما أدى إلى تقسيم يهود أوروبا إلى فرق وطوائف مختلفة حيث قصرُوا إيمانهم وعقائدهم على الجوانب النفسية والروحية وأهملوا الجانب الشعائرى ^(١) . الأمر الذى أدى إلى اعتبار يهود المارانوس شكلاً من أشكال العلمنة التى تظهر في عدم الاكتراث بالدين ، وذلك بتوجيه اهتمامهم بالدولة كنظام سياسى بعيداً عن المجال الدينى . والمتأخرون من فقهاء اليهود اعتبروهم فرقة من الخوارج أو الجوييم ^(٢) .

انتشار المارانوس في أنحاء العالم :

انتشر المارانوس في معظم أنحاء العالم بعد طردهم من إسبانيا حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك في تركيا وكانت هذه المدينة تمثل أكبر تجمع يهودى في تركيا وبعد وصول المارانوس إليها مثلوا أعداداً كبيرة تفوق كل اليهود المتواجدين فيها .

من ناحية أخرى ذهبت أعداد منهم إلى إنجلترا وأمستردام وهامبورج وهولندا وعاشوا في هذه البلاد كجماعة هامشية تمتزج بين المسيحية واليهودية ، ترتبط بالمسيحية بالاسم فقط بينما تمارس اليهودية سرّاً على الرغم من تغير الأوضاع والسماح بحرية العبادة عام ١٩١٠م ^(٣) .

(١) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٢) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

(٣) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

ومن أشهر المدن التي يسكنها المنتصرون اليوم مدينة "بورتو" ومدينة بلمونت^(١) في البرتغال . ويطلق المارانوس على أنفسهم وذرياتهم اسم المنتصرين "אנצרים" أو أبناء المنتصرين "בני אנצרים" حيث انتشر أبناؤهم في العالم فيوجد أعداد منهم في إسبانيا ، وجزء بالبرتغال وأعداد أخرى في البرازيل، والمكسيك ، وكولومبيا ، وإنجلترا وهولندا وغيرها من الأماكن التي تمكنوا من الهروب إليها أثناء وقت الإبادة^(٢) .

وللاجابة على السؤال الأخير الذي سقناه آنفا حول أسباب ترحيب الدول الغربية بهؤلاء المنتصرين اليهود فيكمين في الأمور الآتية :

أولاً : خبرة هؤلاء المارانوس في الأمور المالية والتجارية وقدرتهم على تأسيس شركات تجارية رأسمالية كبرى إضافة إلى تعاملاتهم في بورصات الأوراق المالية بكفاءة والتي ساعدت في تطوير وتحديث النظام الرأسمالي الغربي .

ثانياً : قدرتهم على الاندماج في المجتمعات الدولية ، إلى جانب قدرتهم على التجسس لصالح الدول التي يعيشون فيها .

ثالثاً : احتكارهم مجال التجارة الدولية واحتكارهم تجارة الرقيق وخاصة في مستعمرات البرتغال في أفريقيا .

رابعاً : تزامن ظهورهم في المجتمعات الغربية مع ظهور العلمنة في العالم الغربي حيث أدوا أدواراً أساسية في تحديث وعلمنة أوروبا .

خامساً : نقد المارانوس للحاخامية اليهودية وتعصبها حيث يرون فيها صورة تتفق مع محاكم التفتيش ، مع إيمانهم القوى بشخصية المسيح مع تأكيدهم بأهمية الإيمان المجرد غير الملزم بشرائع أو عبادات .

سادساً : اهتمام المارانوس بعقيدة القبالة اليهودية التي ارتبطت بالتصوف والزعة المسيحانية والتي تؤمن بشمولية الإنسانية وإسقاط الشرائع .

(1) تقع مدينة "بورتو" في الشمال الشرقي للبرتغال ، وكانت هذه المنطقة معروفة بتواجد كثير من المنتصرين اليهود بها ، وتقع بالقرب منها مدينة "بلمونت" التي كان يوجد بها طائفة من المنتصرين اليهود الذين عادوا إلى اليهودية عن طريق دار قضاء كان يرأسها الرب مردخاي إياهو. (he.wikipedia.org) .

(2) בירבבים אליהו . יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

سابعًا : ارتباط المارانوس بالخرافات التنويرية اليهودية وأفكار مندلسون وإسبينوزا التي تنادى بإسقاط الشريعة والاحتفاظ بالجواهر الموسوى مع رفض كافة القيود الدينية .
ثامنا : إعلاء المارانوس الجانب المادى والتفوق الكبير فى هذا الجانب الذى يوطد ويثبت اقدامهم أمام كل من يخالفهم .
وينقسم منتصرو اليوم إلى :

- منتصرون يعيشون كيهود بشكل سري ويمارسون التقاليد اليهودية فى الخفاء ،
ويؤمنون بيهوديتهم ويعملون على العودة إلى الحضرة اليهودية .

- منتصرون يهود يحافظون على تقاليد يهودية معينة اعتادوا عليها مثل إشعال الشموع، والزواج من داخل نطاق العائلة ، لكنهم لا يعرفون تفسيراً لما يفعلونه من عادات ولا يرون فيها أي نوع من الأفعال الدينية أو حتى الانتماء لليهودية نظراً لاندماجهم فى مجتمعات غير يهودية .

- متهودون منتصرون آخرون ذوو هوية يهودية ، مؤمنون بيهوديتهم ، لكنهم لا يحافظون على الشعائر اليهودية ، ويتزوجون من الخارج وهو ما يتنافى مع الشريعة اليهودية .

وقد كان الوجود اليهودى فى أسبانيا قد انتهى على نحو مفاجئ عام ١٤٩٢ عندما منح الملكان الكاثوليكيان فيرديناند وإيزابيلا ، ١٠٠٠٠٠ يهودى على الأقل مهلة ثلاثة أشهر ليتحولوا لاعتناق المسيحية أو يغادروا البلاد .

وعلى مدى أكثر من خمسة قرون ، حافظ اليهود من أصل أسباني على تراثهم الثقافى بدءاً من لغة اللادينو وحتى الأسماء والأغاني والأطعمة أو ألعاب الأوراق .

بل إن بعض اليهود السفارديم احتفظوا بمفاتيح بيوت أسلافهم فى إسبانيا ، وكان على العروسين أحيانا أن يوقعوا عقد زواج قديم يتعهدان فيه باحترام قوانين مملكة (قشتالة) الإسبانية .

ونجد أن نحو ٤٥ مليون يهودى من أصل أسباني يعيشون فى بلدان مختلفة من بينها تركيا وأورجواى والولايات المتحدة .

ومن أبرز الشخصيات المنتصرة التى ظهرت فى القرن العشرين ونادت بعودة المنتصرين إلى اليهودية ودافعت عن حقوق اليهود فى أداء شعائرتهم دون جبر، آرثر كارلوس دي

بروش باسطو " ארתור קרלוס דה ברוש בסטو " ويعد رائد قويد المارانوس في القرن العشرين ١٨٨٦-١٩٥٩ كان ضابطاً في الجيش البرتغالي فترة الحرب العالمية الثانية ، وكتاباً معروفاً ، ولد لأسرة كاثوليكية، عاش فترة كبيرة من حياته ، ولا يدري أنه يهودي الأصل — طبقاً لعادة المنتصرين في إخفاء أصولهم اليهودية عن أبنائهم حتى سن البلوغ — وعندما كبر باسطو كشف له جده أصله اليهودي ، ومنذ ذلك الحين بدأ الضابط الصغير يبحث عن جذوره اليهودية وبعد قوده ، حول اسمه إلى "أفراهام بن هاروش" "אברהם בן הרש" (١) .

وقد بدأت علاقة باسطو بالطائفة اليهودية في مدينة لشبونة التي كانت تمارس الشعائر اليهودية سرّاً (٢) ، واتصل بإخوانه اليهود الذين انتشروا في مدن "بورتو" و"بلمونت" وظلوا يحافظون على ممارسة شعائرهم اليهودية بشكل سري بين أهالي هذه القرى والمدن (٣) . وحتى يحقق باسطو مهمته في دعوة المنتصرين للعودة إلى اليهودية ، كان يذهب إلى تلك القرى لزيارة هؤلاء المنتصرين، ويعلن لهم الفرصة في التوبة ، ويوصيهم بضرورة الختان (٤) . وقد شمل برنامج باسطو لمنتصري البرتغال زيارته للقرى وقيامه بعمليات ختان للمنتصرين كعمل أولي للعودة لليهودية .

ومن أهم أعماله في هذا المجال إنشاء معبدًا يهوديًا ليكون قاعدة أساسية، وبنية روحانية ودينية لكل المنتصرين في المنطقة .

وقد قامت بعض العائلات اليهودية الثرية بدعم باسطو مالياً من أجل تنفيذ مهمته ومنها عائلة "قدوري" المشهورة في "هونج كونج" حيث قامت بتمويله لبناء المعبد الكبير الذي تم افتتاحه عام ١٩٣٨م، وأطلق عليه ماقور حايم "מקור חיים" أي منبع الحياة ، ويضم مغطساً للتطهر، وعدداً من الكتابيب للدراسة بالمدرسة الدينية التي التحق بها عشرات

(١) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי. תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי كان من عادة اليهود المنتصرين ألا يكشفوا لأبنائهم أصولهم اليهودية حتى يكبروا ، وذلك ليتصرفوا بشكل طبيعي ولا يتشكك أحد في هويتهم .

(٢) نفسه .

(٣) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי. תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

(٤) المرجع نفسه .

التلاميذ. وبمرور السنين أصبح هذا المعبد مركزاً مهماً لأنشطة اليهود المنتصرين في المنطقة، كما قام باسطو بتأسيس جريدة باسم هلفيد "הלפיד" أي المشعل، كتب فيها عشرات النشرات الدورية لتعليم اليهودية^(١).

وعندما ذاع صيت باسطو ونشاطاته من أجل عودة المنتصرين لجذورهم اليهودية، وتأثيره على آلاف المواطنين في المنطقة، قامت الكنيسة بمحاولة لإبعاده باتهامه بالشذوذ الجنسي، الأمر الذي يدل على استمرارية تعقب الكنيسة لكل من يحاول إعادة المنتصرين إلى اليهودية، وعلى الرغم من تبرئته من كل المخاومات التي أجريت له، إلا أنه تم عزله من الجيش البرتغالي، مما أدى بالتالي إلى وقف نشاطه، كما توقف نشاط غيره من المنتصرين في ذلك الوقت عن العودة لليهودية خوفاً من تهديدات الجيش والكنيسة^(٢).

وينادى بعض اليهود بشرعية عودة المارانوس إلى الخطيرة اليهودية ويشجعون انضمامهم إلى إسرائيل بهدف الاستفادة من قوتهم ونفوذهم وثرواتهم.

ومن ناحية أخرى عارض بعض حاخامات اليهود هؤلاء اليهود المنتصرين وذلك بسبب اندماجهم في مجتمعات غير يهودية لفترات طويلة من الزمان أدت إلى إبعادهم عن ديانتهم الأصلية، بالإضافة إلى دخول أفكار تحررية سيطرت عليهم تنادى بإبعاد الدين عن الدولة، وتطالب بتوجه علماني يسعى إلى التحديث بعيداً عن الدين، وقد اعتبر عدد من الحاخامات أن هؤلاء المارانوس يشكلون خطراً على المفاهيم اليهودية الأصلية والفكر الديني.

ولم يكن رفض حاخامات اليهود للمارانوس بأقل من رفض المارانوس للحاخامات؛ حيث أخذ المارانوس على الحاخامية اليهودية التعصب الشديد.

ونجد اليوم تصاعداً في الدعوة إلى تجميع تلك الفئات إلى العودة إلى اليهودية والمجتمع الإسرائيلي، بهدف تقوية وتعزيز المجتمع، وأيضاً للاستفادة من نفوذهم المالي والتجاري واستثمار ثرواتهم.

وما لا شك فيه فإنه بانتهاء فترة العصور الوسطى، وما جرت فيها من أحداث، فقد أصبح المارانوس - نتيجة لاندماجهم ومعايشتهم الطويلة في بلدان مختلفة في الأصول

(١) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי. תנועת התשובה של הקצין המורטוגזי

(٢) المرجع نفسه.

والعقائد والجنسيات - يمثلون جماعات منعدمة الهوية وفقاً لمصالحهم ، حيث لا انتماء عندهم لدين أو شعب أو أصل نتيجة لاندماجهم كلياً وجزئياً بالجماعات الأخرى ، خاصة الأوروبية ، والدليل على ذلك اختيارهم البقاء بمحض إرادتهم والإقامة في الأوساط الأوروبية على الرغم من الحرية والتشريعات التي أعلنتها منظمات حقوق الإنسان في العالم واحترام حرية العبادة والمعتقدات الدينية أيًا كانت، وهنا يتضح لنا التباين بين مارانوس اليوم ومارانوس العصور الوسطى فمارانوس العصور الوسطى يمكن أن يدخل بعضهم في إطار الجبر أو المضطر لدخول المسيحية في ظل الاضطهاد والإجبار تحت وطأة محاكم التفتيش ، أما اليوم فما معنى وجود عناصر يهودية متنصرة لازالت تمارس شعائر اليهودية في الخفاء ؟ !! الأمر الذي يؤدي بنا إلى القول بأنهم يمثلون جماعات مارقة خارجة عن أصولها اليهودية.

الخاتمة

في ختام الدراسة لطوائف "المارانوس" اليهود المنتصرين التي ظهرت في إسبانيا ، ثم انتشرت في أرجاء العالم مكونة حركات مسيحية يهودية علمانية متحررة نخلص بمجموعة من الاستنتاجات للحكم على هذه الجماعة وتشمل العوامل التالية :

- كان الحصول على المنافع والمصالح الشخصية واعتلاء المناصب في البلاط الملكي سبباً في تخلي اليهود عن معتقداتهم وديانتهم الأصلية .

- نجحت طوائف المارانوس "اليهود - المسيحيون" في التغلغل وسبر أغوار المجتمعات الإسبانية والبرتغالية ، والغربية عموماً . حيث خلقوا قواسم مشتركة مع الحكومات الرسمية في هذه البلدان بالاعتماد عليهم في مجالات التخابر والجاسوسية لصالح تلك البلدان . وفي المقابل حقق الملوك والحكام الكاثوليك الاستفادة المطلوبة من هؤلاء اليهود باعتبارهم أجراء يحققون طموحاتهم ومصالحهم ورغباتهم سواء أكانت شخصية أو سياسية دولية . حتى إذا ما وصلوا لنهاية تحقيق رغباتهم فكان نبذهم وإبعادهم وطردهم هو أسلم الطرق للتخلص منهم .

- أدى التطور الاجتماعي والسياسي لجماعات المارانوس اليهودية في المجتمعات المسيحية إلى تحولهم إلى جماعات ضغطت على النظام السياسي الحاكم في هذه البلاد .

- أثبتت الطبيعة المزدوجة لدى المارانوس ، المتأرجحة بين المسيحية واليهودية ، انفصاماً في الهوية الدينية وضحت من خلال ممارساتهم الشعائر المسيحية في الكنائس وأداء شعائرتهم اليهودية سرّاً في المنازل والمعابد السرية .

- استطاع المارانوس عن طريق تسخير وسائلهم المالية من تجارة واستثمارات وجباية الضرائب وامتلاك الثروات في التسلل إلى داخل البيوتات الحاكمة حاصلين على أعلى المناصب داخل البلاط الملكي . فكانوا أول من أنشأوا شركات مالية واستثمارية عابرة للحدود مصاحبة أفكاراً دينية حديثة متحررة من كل قيد .

- سهلت عمليات اندماجهم في المجتمعات الغربية تطور لاستثماراتهم للأموال عن طريق التجارة الدولية والأعمال المصرفية التي تفوقوا فيها على حساب البلدان التي عاشوا بين جانبيها خاصة المجتمع المسيحي .

- أوضحت الدراسة قدرة اليهود المتنصرون على المراوغة وإخفاء ممارسة عقائدهم الأصلية بعيداً عن الأعين ونجاحهم الإفلات من تعقب المحاكم مع إظهار التمسك بالمسيحية.. كل هذا مكّنهم من الانتشار في المجتمعات الخارجية والاتصال بذويهم في أنحاء العالم.

- التغلغل داخل البلاط الملكي والنفوذ المالى والتجارى ، وأساليب إخفاء العقيدة ، ساعد المارانوس على اتصافهم بنظراء لهم في مختلف أرجاء العالم بهدف تقوية المصالح والمنافع المتبادلة وفتح منافذ للاقتصاد اليهودى .

- معاداة النخب اليهودية القوية منهم لأبناء جلدتهم أدت إلى تبوئهم مناصب ومراكز كبرى داخل المجتمع المسيحي فكان منهم الأسقف والكاهن والمعمد . ونموذج ذلك يظهر من خلال شخصية باول دى سانتا ماريا - ذلك الحاخام اليهودى والأسقف المسيحي !! الذى خان أبناء دينه، وغيره نماذج كثيرة لشخصيات يهودية متنصرة، حاربت أهلها وأبناء دينها وجلدتها وصولاً لتحقيق عطف وعطاء الحكومات ، حتى وإن أدى الأمر في سبيل ذلك إلى التضحية باليهود أنفسهم وإعمال المذابح فيهم .

- كانت أعنف الضربات التي لحقت باليهود المتنصرين من قبل محاكم التفتيش على أيدي عدد من حاخامات يهود ؛ تنصروا !! وأصبحوا كهنة وقساوسة مسيحيين .

- كانت المنح والعطايا والرشاوى والوشاية هي الأساليب التي استخدمها المارانوس تحقيقاً لأهدافهم في التغلغل في المجتمعات غير اليهودية .

- أثبت التماذج بين فكر المارانوس وجماعات الشبتائية (الدوغة) والفرانكية المتحولين عن دينهم وحدة الفكر القائم على الإدارة والتخفى واستغلال المجتمعات الخارجية والتسلل لأنظمتها سياسياً واجتماعياً تحقيقاً لأغراضهم .

- مثل المارانوس ظاهرة يهودية ذات أنساق مسيحية غير مؤكدة مزدوجة الفكر والعقيدة تحمل في طباقها فكراً لا ينتمى إلى هوية دينية محددة .

- عكس انضمام المارانوس للحركات التنويرية والبروتستانتية المعادية للكاتوليكية ، وكذا الحركات المسيحانية المعاصرة مفهوماً جديداً للتعايش مع الآخر قوامه الإيمان الجرد غير العائى بالدين لخدمة مصالحهم وأهدافهم .

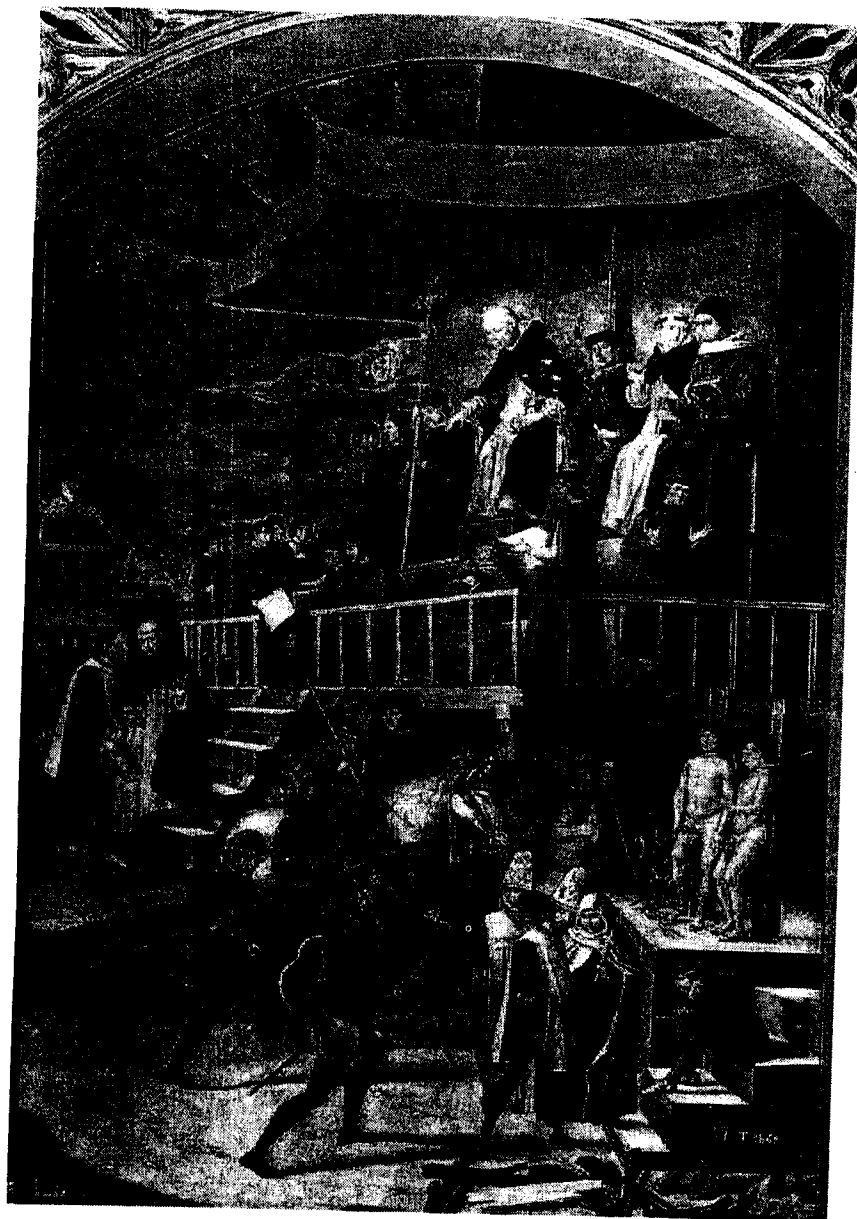
- مثلت جماعات اليهود المارانوس طليعة الجماعات الممارسة لليبرالية التحررية فكراً وعملاً من خلال إعلاء الفردية على حساب الدين والدولة باعتبار أن الحرية لا يحددها قوانين أو معتقدات .

- نتج عن الأفكار التحررية التى نادى بها المارانوس الى اتخاذهم شكلاً من أشكال العلمانية التى تعلو من شأن الدولة على حساب الدين .

- أظهر انضمامهم للحركات التنويرية والبروتستانتية المعادية للكاتوليكية تذبذب شخصيتهم وعدم القدرة على الانتماء لأى معتقد .

- تأرجحت آراء المشرعين اليهود بين قبول اليهود المنتصرين باعتبارهم مواطنين يهود، وبين رفضهم باعتبارهم خارجين عن الدائرة اليهودية ، رغبة فى استقطاب العناصر اليهودية المنتصرة ، وجمعها داخل بوتقة دولة إسرائيل لاعتبارات قومية سياسية واقتصادية .

- قدرة المارانوس على الاندماج والتعايش مع الديانات والمذاهب المغايرة واختلاطهم بعبادات وأنماط مختلفة ورفعهم شعار الإيمان الجرد غير العائى بأمر الدين والشرائع ، والرافض للجمود والتعصب الذى رموا به الحاخامية اليهودية . الأمر الذى يستدعى دعوتهم بـ "الجماعات المارقة" أو الخارجة عن الديانة اليهودية ، كما يمكن اعتبارهم جماعات يهودية ذات أنساق مسيحية غير مؤكدة ، مذبذبين لا من هؤلاء ولا هؤلاء .



صورة توضح إحدى جلسات محاكم التفتيش

المصادر والمراجع

المصادر العربية

أولاً المصادر :

القرآن الكريم

الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد - مترجم من اللغات الأصلية - دار الكتاب المقدس - القاهرة - الطبعة الرابعة ٢٠٠٦ - الإصدار الثالث .

ثانياً المراجع العربية :

١. النعمي : أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٧ م ،

٢. إسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٣. برنز : يواكيم ، بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣ م .

٤. حمدان : جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط - فبراير ، ١٩٦٧ م .

٥. درويش : هدى ، العلاقات التركية اليهودية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠١ م .

٦. درويش : هدى ، حقيقة يهود الدوغا في تركيا وثائق جديدة ، دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

٧. فلاح : سلمان ، تاريخ العرب ، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية ، أورشليم ، ١٩٦٥ م .

٨. سوسة : أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٧ ، دمشق ، بدون تاريخ .

٩. الشامي : رشاد ، الرموز الدينية اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١ ، ٢٠٠٠ م .
١٠. الشامي : رشاد ، جولة في الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت القاهرة ، ١٩٧٧ م .
١١. الشامي : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣ م .
١٢. ظاظا : حسن : الفكر الديني اليهودي ، دار القلم دمشق ، ١٩٩٩ م .
١٣. الشناوى : عبدالعزيز : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ .
١٤. عبد المجيد : محمد بحر ، اليهود في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .
١٥. عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
١٦. كاسترو : أميركو ، إسبانيا في تاريخها ، ترجمة على إبراهيم منوف ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
١٧. محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤ م .
١٨. المسيرى : عبد الوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨ م .
١٩. المسيرى : عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ٧ مجلدات ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٩ .
٢٠. مكاريوس : شاهين ، أربع كتب في الماسونية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف مانع بن حماد الجهنى ، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ .

22. נאזם : מני , המסיח היהודי , مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة , أبو ظبي , سلسلة ثقافية قومية , نحن وهم .

23. דיוראנט : ויל , قصة الحضارة : ترجمة محمد بدران بيروت , تونس .

נאלא המראגע העברית :

1. תורה נביאים כתובים והברית החדשה התנ"ך על פי המזורה בכתב

יד לנינגרד הכמהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה

שטוטדרטנסיה . החברה לכתבי הקודש . ירושלים 1991 .

2. ש' אברמסון , פירוש רבנו חננאל לתלמוד , ירושלים תשנ"ה .

3. א' אשתור , קורות היהודים בספרד המוסלמית , ירושלים 1966 ,

4. בן-ששון , צמיחת הקהילה היהודית בארצות האסלאם , ירושלים

תשנ"ו .

5. ר' דרורי , "ההקשר הסמוי מן העין : על תוצרים ספרותיים של מפגש

תלת-תרבותי בימי הביניים" , מעמים מו-מוז (תשנ"א)

6. המלון החדש הוצאת קריית ספר ירושלים 1981 , מין .

7. האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאת ספרית פועלים

1988 .

8. האינציקלופדיה היהודית "דעת" . ערך אינקוויזיציה , אוטו דה פה .

مواقع الكترونية عبرية :

1- סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) עימות בין מוסלמים

לנצרות www.tzafonet.org.il .

2- www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp

3- ליסק . רבקה שפק (ד"ר) . לקחים הסטוריים . יהדות סודית בצל

www.amedia.co.il . האינקוויזיציה

4- בירנבוים אליהו . יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

www.makorrishon.co.il .

5 - כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האקדמית אחבה. מעורף ומעשה

חוברת 1996.5-1996.

6 - אנוסים ושבתיאם האופציה שך דתיות כריזמטית.

. web.macam.ac.il

7 - אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות

התשובה . שנת תשנ"ג . www.daat.ac.il

رابعًا المراجع الإنجليزية :

(مرجع تركي) - A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1

1992

2 - Episten, I: Judaism : A Historical presentation, penguin
Books, London, 1974.

. Vols, Translated by Harry Sperling & Maurica 53 - The Zohar,
Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York,
1970 reprinted

- S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed 4
at Mehta offset works, New delhi.

- Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier 5
1980 Macmillan publishers, U.S.A.

الكاتبة في سطور

دكتورة هدي درويش

- الأستاذ المساعد ورئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية -
جامعة الزقازيق.

- حاصلة على ليسانس الآداب في جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية - فرع اللغة
العبرية بتقدير جيد جداً .

- حاصلة على جائزة أحسن رسالة دكتوراة في جامعة الزقازيق لعام ٢٠٠١ -
٢٠٠٢ .

- شغلت منصب المدير التنفيذي لمركز بحوث العالم التركي بالقاهرة عشر سنوات
(١٩٩٠ - ٢٠٠٠ م) .

المؤلفات العلمية :

- الإسلاميون وتركيا العلمانية - دار الآفاق العربية ، القاهرة ١٩٩٨ م .

- العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢ م .

- أفغانستان بين السلام والحرب ، سلسلة كتب التصوف الإسلامي ، الكتاب ٤٨ ، يناير
٢٠٠٢ م .

- حقيقة يهود الدوغة في تركيا ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

- دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز عين للدراسات ، القاهرة ،
٢٠٠٤ م .

- حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية ، عين للدراسات القاهرة ، ٢٠٠٥ م .

- الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية عين للدراسات ، ٢٠٠٦ م .

الأبحاث والدراسات :

• المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا ، مجلة

الآداب - جامعة الزقازيق ، نوفمبر ٢٠٠١ م .

- تركيا بين التأثير اليهودي والواقع العربي في الماضي والحاضر والمستقبل .
 - السلوك الاقتصادي في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام .
 - الآسينية في الفكر الديني اليهودي ، دراسة في النشأة والعقائد .
 - البعث في العقيدة اليهودية (دراسة في فكر موسى بن ميمون) .
 - إدريس عليه السلام بين الروايات اليهودية والتفاسير الإسلامية .
- لها العديد من المقالات في المجلات والصحف العربية والدولية المختلفة وشاركت في العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية .

المحتويات

٥	مقدمة
٩	تمهيد : جذور التنصر اليهودي في الأندلس
	الفصل الأول
١٩	المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية
٢٠	المارانوس لغة واصطلاحاً
٢٢	المبحث الأول : آليات القوة اليهودية في إسبانيا والبرتغال
٢٣	- قوة اليهود على المستوى السياسي في الأندلس
٢٥	- القوة الاقتصادية لليهود في إسبانيا والبرتغال
٣١	- القوة الاجتماعية لليهود في إسبانيا
٣٦	المبحث الثاني : ردود الأفعال الرسمية والشعبية تجاه المنتصرين اليهود
٣٧	- الممارسات اليهودية المناهضة للمسيحية
٤٠	المبحث الثالث : محاكم التفتيش والتحول القسري إلى المسيحية
٤١	- موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا
٤٤	- محاكم التفتيش في إسبانيا
٤٦	- أنواع المحاكم
٤٧	- أنواع العقوبات
٤٨	- محاكم التفتيش في البرتغال
٤٨	- ممارسات محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود
	الفصل الثاني
٥٣	المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي
٥٤	المبحث الأول : ممارسة المارانوس الشعائر المسيحية
٦٢	المبحث الثاني: أساليب المارانوس في ممارسة الشعائر اليهودية
٦٣	- عقيدة المارانوس في قدوم المسيح אמונה בבוא המשיח
٦٤	- كيفية تطبيق المارانوس لطقس الختان
٦٥	- المحافظة على شعائر السبت
٦٦	- المارانوس والابن البكر
٦٧	- سرية الاجتماع للصلاة התכנסות לתפילה

- ٧٠ - محافظة المارانوس على شرائع الطعام في اليهودية
- ٧١ - إجراءات الزواج **מצוות**
- ٧١ - عادات الدفن والعزاء
- ٧٢ - ممارسة المارانوس للأعياد اليهودية
- ٧٨ - وسائل محاكم التفتيش في كشف تخفى المنتصرين
- ٨٢ - المبحث الثالث : النخب اليهودية بين المعارضة والتأييد
- ٨٣ - أولاً : المنتصرون المناهضون لليهود في إسبانيا والبرتغال
- ٨٧ - ثانياً : نماذج الشخصيات المنتصرة التي دافعت عن اليهود ولم تتضح هويتها الدينية :
- الفصل الثالث
- ٨٩ - معضلات الدمج والنبد بين المارانوس ونظرائهم
- ٩١ - المبحث الأول : علاقة المارانوس بالحركات اليهودية المسيحانية
- ٩١ - أولاً : علاقة المارانوس بالشبثانيين (الدوغة)
- ٩٥ - ثانياً : المارانوس والفرانكية
- ٩٨ - المبحث الثاني : موقف الحاخامية اليهودية والشرائع من المارانوس
- ٩٨ - موقف المنتصرين اليهود من الشرائع اليهودية
- ٩٩ - موقف التشريع اليهودي من زواج المنتصرين
- ١٠١ - المنتصرين في أدب الأسئلة والأجوبة الخاص بالشرائع
- ١٠٤ - شرعية عقود الزواج للمنتصرين اليهود
- ١٠٥ - صلاحية شهادة المنتصرين في رأى المشرعين اليهود
- ١٠٩ - المبحث الثالث : واقع المارانوس المعاصر
- ١١٧ - الخاتمة
- ١٢١ - المصادر والمراجع

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٧١٤١

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-235-9

مطبعة صحوة

٧ شارع إسماعيل رمضان - الكوم الأخضر - فيصل

تليفون وفاكس / ٣٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>